


دار سنابل
للنشر
والتوزيع
غرام رجل السياسة
و رجل المسرح
علاء الدين وحيد

إهـــــــداء٢٠٠٩
دار سنابل للنشر و التوزيع
جمهورية مصر العربية

غرام

رجل السياسة

ورجل المسرح

علاء الدين وحيد

دار

سنابل

المنصوره ١١٢ شارع السكة القديمة [illegible]

غرام ملكة مصر ورئيس الديوان

"كان حسنين طول عمره موضع إعجاب النساء. فقد كان فيه كل ما يعجب المرأة .. كان ممشوق القامة، حلو الحديث حسن الهندام. جذاباً، مؤدباً. إذا أقبل على سيدة يتحدث معها خيل إليها أن حسنين لا يرىَ سواها ولا يهتم بسواها. وكان إلى جانب هذا رياضياً ممتازاً وبطلاً مبرزاً من أبطال السيف، ورحالة مشهوراً جاب مجاهل الصحراء وجابه أخطارها واكتشف واحة أو واحتين ودوى نبأ اكتشافاته فى جوانب العالم وكرمته الدولة والهيئات العلمية العالمية .. ونال من الأوسمة والنياشين ما لم ينل مصرى فى مثل سنه.

"وكانت ثقافته واسعة متعددة الألوان. كان يستطيع أن يتحدث بسهولة وانطلاق فى -مثلاً- الشعر العربى القديم والشعر العربى الحديث .. وفى المسرح .. والفرق بين المدرسة الإنجليزية فى التمثيل والمدرسة الفرنسية .. وفى الصيد والقنص .. وفى الطيران .. وكان يتحدث فى الموضة وتطوراتها .. وكان يمكنه أن يناقش -وعلى قدم المساواة- أية سيدة خبيرة فى الأزياء!

"لم يكن عجباً إذن أن تقبل عليه السيدات ..
وأن يلقى عندهن من الحظوة والقبول مالا يلقاه
كثير من الرجال!"

محمد التابعي

(١)

تميزت شخصية أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي الأسبق .. بالدهاء الشديد، الذى خدع الكثيرين عن حقيقته .. وصاحبها يبدو فى الظاهر بسيطاً، ربما أقرب إلى السذاجة .. التى استلبت من الآخرين حرصهم، فوقعوا بين مخالب الداهية! ولذلك ظلت شخصية الرجل سواء فى حياته أو بعد مماته .. تثير الحيرة والارتباك! ولم يعتمد أحمد حسنين فى دهائه علي ما حبته الفطرة من ذكاء شديد فحسب، بل استفاد كثيراً من ثقافته. فهو قبل أن ينخرط فى السلك الدبلوماسى ويمارس السياسة، كان يقرأ كثيراً ويحفظ شعر أحمد شوقى. كما أنه صاحب قلم يدرك مواطن البلاغة فى العبارة. وكتابه الضخم الذى كتبه -أو كُتب له سيان- وهو "فى صحراء ليبيا" عن رحلته إلى الصحراء الغربية واكتشف فيها واحتى اركنوا والعوينات، وصدر سنة ١٩٢٣ فى جزءين كبيرين، وكتب مقدمته أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية، يضعه فى قائمة الكتاب الناضجين.

والفارق كبير جداً فى حياة أحمد حسنين بين نقطتى البداية والنهاية .. التى تبعد أحدهما عن الأخرى بعد السماء عن الأرض! فهو قبل البداية أى قبل التخرج يختط لنفسه طريقاً مغايراً لما يسلك لذاته. وظهر ذلك أول ما ظهر وهو فى مرحلة الدراسة الثانوية، إذ قرر أن يكون تعليمه العالى فى الخارج وفى انجلترا .. وفى أعرق جامعة فيها، وهى جامعة اكسفورد! يفعل ذلك مع أن مستوى التعليم المصرى الجامعي فى ذلك الوقت لم يكن مثل اليوم هابطاً .. بل كان قوياً رفيعاً تعترف به أكبر الجامعات الأوربية. كما لم يضطره إلى ذلك مجموع درجاته التى لا تمكنه من الالتحاق بكلية أولى، فلم يكن نظام أو بدعة مكتب التنسيق قد اكتشفت بعد فى مصر. فهل هو التطلع إلى القمة التى خايلته دائماً؟ أم هى المغامرة التى تجرى فى دمه منذ بواكير الشباب؟ على أية حال يتخرج ابن الشيخ الأزهرى محمد حسنين من اكسفورد ويعود إلى القاهرة!

وكان المستقبل الزاهر التقليدى للشباب الجامعى، لا يخرج فى شكله عن وظيفة حكومية مناسبة فى إحدى الإدارات الهادئة، وترقيات فى أوقاتها تصل به إلى وكالة الوزارة ويحال على المعاش على درجتها. أما إذا عمل بالسياسة فالفرصة أمامه سانحة بعد عمر طويل ليصبح وزيراً، وهو الأمل الأعظم ونهاية المطاف! ولكن أحمد حسنين لم يكن شاباً عادياً ليحصر اهتمامه أو أحلامه فى هذا الإطار الضيق بالنسبة إلى طموحه! بل هو يبعد كثيراً متجاوزاً حد الوسط أو حتى النهاية نفسها.

وساعد على ذلك أنه كان مغامراً بالفطرة يملك أدوات المغامرة .. من قوة وشجاعة وقدرة على تحمل المشاق والاستهانة بالموت والإقدام عليه إذا لزم الأمر! لقد كان من المغامرين الأصلاء الذين يبذلون الجهد والعرق لإتقان العمل .. لا من المغامرين الطائشين أو المدعين الذين يعانون القليل في سبيل الكثير، فيحدثون أكبر حلبة ويحصلون على أعظم كسب. لم يكن أحمد حسنين من هذا النوع .. وليس معنى ذلك بالطبع أنه كان يصنع المغامرة في سبيل المغامرة، أو يقوم بها بلا غاية .. فليست هذه طبيعة أحمد حسنين، فإن الهدف أو الصالح الخاص والتطلع إلى الشهرة أو ما يسميه البعض بالمجد وبلوغ الغاية .. كان أيضاً ضمن بواعث المغامر ابن الشيخ الأزهري! ولاشك أن مخاطرات أحمد حسنين الأصيلة كونت له اسماً بارزاً، لدى الرأى العام المصرى والخارجى على السواء .. وقوت الأرض من تحته وهو يمارس السياسة بعد ذلك!

والوقوف على تكوين أحمد حسنين فى هذا الجانب، ييسره الإطلاع على الدستور الذى استلهمه فى حياته. ومن الطريف أن تكون مبادئ هذا الدستور أبياتاً شعرية كتبها الشاعر الإنجليزى رديارد كبلنج! وطالعها الشاب المصرى لأول مرة عندما كان طالباً فى انجلترا سنة ١٩١٢! يقول حسنين: لقد قرأتها آلاف المرات. وحاولت أن أجعل حياتى تسير على هداها، وأن تكون كل تصرفاتى على منوالها. وإذا كانت هناك وصية لمن بعدى لمن أحبهم فهذه القصيدة

وصيتى. ولو عشت لجعلت حياتى من أبيات هـذه القصيـدة، ولو مت فستكون حياتى قصيدة ناقصة!

وهذه هى القصيدة:

"إذا استطعت أن تحتفظ برأسك فى الوقت الذى يفقـد فيـه من حولك رؤوسهم وينحون عليك باللائمة!

إذا وثقت فى نفسك حين يشـك فيـك الجميع ومـع ذلـك سامحتهم لأنهم شكوا فيك ..

إذا استطعت أن تنتظر ولا تمل الانتظار و لم تقـابل أكـاذيب الناس بالأكاذيب.

إذا كرهك الناس فلم تكرههم وإذا تظـاهرت بـأنك لسـت أحسن الناس ولا أحكم الناس.

إذا استطعت أن تحكم دون أن تسيطر عليك أحلامك، وأن تفكر، ولا تجعل التفكير هو كل أهدافك.

إذا استقبلت النصر كما تستقبل الهزيمـة سـواء بسـواء، وإذا استطعت أن تتحمل نتيجة أعمـالك وأن تشـهد المعـول يهـدم كل ما كرست من أجله حياتك وتنحنى لتبنى مـن جديـد مـا تهدم!

إذا استطعت أن تجعل كل انتصاراتك نصراً واحداً ثم تغامر به وتفقده. ثم تعود فتبدأ من جديد بغير أن تتحسـر علـى مـا فقدت وما تعبت!

إذا صبرت فى وقت لا تملك فيه سوى إرادتك تصرخ فيك وتهيب بك أن تتماسك!

إذا استطعت أن تتحدث إلى الشعب بغير أن تفقد فضائلك وأن تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب!

إذا استطعت أن تمنع الأعداء والأصدقاء أن ينالوا منك أو أن تحسب لكل انسان حسابه ولكن لا تخشى الناس مجتمعين!

إذا استطعت أن تملأ فراغ كل دقيقة من حياتك بالعمل، وإذا كانت كل ثانية فى عمرك تمضى في جهد يفيد!

إذا استطعت أن تفعل ذلك كله ملكت الأرض ومن عليها، وأصبحت أكثر من ذلك .. أصبحت رجلاً يا ولدى"!

(٢)

بدأ أحمد حسنين عالمه العنيف باختيار لعبة رياضية غير رقيقة وغير عادية، لا يفكر فيها معظم الناس والشباب بصفة خاصة، ويزاولها القلة من الأثرياء فقط وهى لعبة الشيش أو المبارزة بالسيف! لعبة خطرة ومكلفة أيضاً وبالذات بالنسبة إلى مستوى الشاب أحمد حسنين المتوسط الحال! ومجرد اختياره لها يعد نوعاً من المغامرة. وأحد أهدافها البعيدة غير المعلنة، التعرف لا على الطبقة الثرية، فهذه عملية سهلة لا تحتاج إلى مزاولة لعبة الشيش! بل على "اقتحام" الطبقة الرفيعة قمة الارستقراطية فى المجتمع، التى تضم النخبة المنتقاة من أصحاب السلطان! وهم الأمراء والنبلاء أعضاء أسرة محمد

على التى تحكم البلاد! ويوفق فى الهدفين! .. يصبح له أصدقاء فى هذا الوسط المترف الذى يتربع على مقدرات الدولة. كما يبرز أحمد حسنين فى لعبة الشيش .. فبأسلوبه المتعمق للأشياء يجيد اللعبة ويحرز على بطولات عالية فى مصر وأوربا أيضاً! وتكون البداية!

(٣)

كان أحمد حسنين يعشق الصحراء وله فيها سطور كثيرة أشبه بالغزل، يقول فى إحداها -من كتابه "فى صحراء ليبيا":
".. ولكنها الصحراء خلبت ألبابنا وتغلب سحرها على عقولنا. شأننا فى ذلك شأن رجل شديد الوله بغادة فاتنة ساحرة ولكنها قاسية جافية. تعرض عنه فتظلم الدنيا فى وجهه. حتى إذا جن الليل وبسمت له استحالت الدنيا بأسرها إلى جنة ضاحكة. كذلك الصحراء تبسم لك فتنسى كل شيء. وتنسى متاعبك وآلامك. تنسى الصعاب التى لاقتك والمشقات التى تنتظرك. تنسى كرب الحر والعطش. تنسى أنك أشرفت اليوم على الموت وأنه يرقبك غداً وأنه كامن لك عند كل خطوة. تبسم الصحراء فلا يبقى بعدها مكان جدير بأن تعيش فيه ولا تطيب لك الحياة فى غيرها من بقاع الأرض. تبسم الصحراء فيعاودك حبها وتقبل عذرها. وتغفر ذنبها وتنقض عهد هجرانها."!

والملامح مشتركة كما هو واضح عند حسنين بين الصحراء وحواء، ولذا فما أكثر مايشبه مغامرنا. الصحراء بالمرأة عشقه

الأكبر! لقد تضافر هذا العشق مع المغامرة، على أن يندفع إليها ويذوب فيها. كما أن هناك عامل آخر يفسر به أحمد حسنين عشقه للصحراء، وهو أنها موطن أصل أسرته .. "حيث أقام أجداده وأسلافه قوائم خيامهم"! هكذا انقاد حسنين إلى المغامرة الجديدة التى لا تقل خطراً عن سابقتها، مؤكداً دائماً أن المغامر الجسور لا يقدم على الهين أو الشكلى من الأمور .. بل يختار أصعبها وأكثرها ملاءمة للتطور العام فى الوقت نفسه. ولما كان أحمد حسنين لا يلجأ للمغامرة لمجرد المغامرة، فهو يتجه هذه المرة أيضاً إلى مجال جديد تماماً بالنسبة لاهتمامات المصريين فى العصر الحديث .. وهو اكتشاف مناطق جديدة .. بعد أن بعد العهد قروناً طويلة بالمكتشفين المصريين والعرب أيام ازدهارهم، والذين اختفوا فى عصور تأخرهم! وييمم أحمد حسنين شطر الصحراء الغربية!

وكان قد فكر فى هذه الرحلة منذ وقت مبكر فى أثناء الحرب العالمية الأولى. وكما يقول: "كان أكبر همى طول أيام حياتى أن أجوب صحراء ليبيا وأصل إلى (الكفرة). وهى مجموعة من الواحات فى صحراء ليبيا لم يزرها قبلى إلا مستكشف واحد، فقد نجح المستكشف الألمانى المقدام (رولفس) سنة ١٨٧٩ فى القيام بهذه الرحلة ولكنه لم يخرج منها إلا بحياته بعد أن خسر جل مدوناته ونتائج ملاحظاته العلمية". لذلك فهو يتصل فى عام ١٩١٥ بالسيد إدريس السنوسى شيخ الطائفة السنوسية (الملك السنوسى فيما بعد)،

عندما مر بالقاهرة بعد تأديته لفريضة الحج. وتحادث معه بشأن الرحلة ووعده الشيخ بالمساعدة.

وتظهر مسز روزيتا فوربس على مسرح الأحداث عندما أعد مغامرنا العدة للقيام برحلته الأولى إلى الصحراء الغربية سنة ١٩٢٠ بعد انتهاء الحرب. جاءته بتوصية من صديقه وزميله القديم فى كلية باليول بجامعة اكسفورد فرنسيس زود، لمرافقته فى الرحلة كعنصر مفيد لصاحبتها خبراتها فى الرحلات الاكتشافية. ويوافق أحمد حسنين. وهذا الصديق نفسه كان قد اتفق قبلاً مع حسنين على مشاركته فى عملية الاكتشاف. وعندما يتحدد موعدها تتغير ظروفه ويعتذر لصاحبه. ولم يكن فى الإمكان والرحلة فى الصحراء وبين الأعراب وفى بلد إسلامى تسوده تعاليم الطريقة السنوسية المحافظة، أن تشارك فيها بصراحة سيدة وأجنبية ومسيحية وبلا محرم! فذلك فيه ما تعد القبائل من الحرام من ناحية ومن تدنيس للصحراء الطاهرة من ناحية أخرى. ولذلك زعم أحمد حسنين بين من يتعامل معهم فى رحلته أنها زوجته ومسلمة، وألبسها النقاب الذى غطاها تماماً! وبهذا الشكل اشتركت روزيتا فوربس فى الرحلة!

وأنقى الناس تكويناً، لا يمكن إلا أن يشكك بل يؤكد .. أن العوامل الكثيرة الملحة التى أحاطت بحسنين وروزيتا، من الوحدة والعادة والحاجة إلى الجنس ولا نقول الحب والضعف البشرى أيضاً. خاصة وأن كلاً من المصرى والإنجليزية كان قبل وبعد الرحلة .. صاحب جولات غرامية .. قد دفعت

كلاهما فى أحضان الآخر طوال الأيام الكثيرة التى عاشاها معاً وحدهما فى خيمة! والمدهش أن ذلك لم يحدث! محطماً كل التوقعات، وفى الوقت ذاته مؤكداً قدرة الإنسان على الصمود ضد الإغراء والغواية، ابتغاء مرضاة الله والخوف منه!
يحكى الصحفى الكبير محمد التابعى، ما دار بينه يوماً وبين صديقه أحمد حسنين حول هذا الموضوع قائلاً: "وعاش أحمد حسنين مع روزيتا فوربس أسابيع عديدة فى مجاهل الصحراء. وكانا ينامان فى خيمة واحدة .. ولكنه لم يحاول أن ينال منها .. أما هى فقد حاولت .. ولكنه أبى وأعرض. سألته مرة:

- وهل قدت قميصك من دبر؟!

وضحك رحمه الله وقال:

- كلا .. فإن المسألة لم تصل إلى هذا الحد ..

قلت: لكننى لا أفهم! .. لقد كنت يومئذ فى عنفوان شبابك .. وروزيتا امرأة جميلة تشتهى .. وكنتما فى الصحراء أسابيع عديدة .. ووحدكما عشرات الليالى فى خيمة واحدة. وكان مرافقوك من البدو يعتقدون أنها زوجتك .. وما أنت دائماً بولى الله أو قديس .. إذن ماذا؟!

وضحك مرة أخرى وقال:

- لأن الأزهر انتصر فى هذه المرة على اكسفورد!

والمعنى الذى أراده حسنين هو أن النشأة الدينية فى دار أبيه وما ورثه فى دمه عن أبيه العالم الأزهرى المتمسك بأحكام دينه الحنيف .. كل هذا انتصر على عوامل التحرر أو التحلل التى تركتها فى نفسه دراسته فى جامعة اكسفورد.

سألته:

- وهل انتصر الأزهر دائماً فى جميع المعارك الشبيهة التى نازلت فيها امرأة أو تحدتك فيها امرأة؟

- كلا .. ولكننى فى هذه المرة كنت حريصاً على إرضاء ربى ورحمته. فقد كنا فى صحراء مجهولة .. وأسباب الهلاك تحيط بنا من كل جانب .. وكنت أعد نفسى مسئولاً عن سلامة القافلة ونجاة أفرادها ..

وضحكت بدورى وقلت:

- إذن فقد تأبيت وأعرضت لا زهداً فى روزيتا .. وإنما خوفاً من أن يحل بك غضب الله وأنت فى جوف الصحراء؟

قال: نعم.

قلت: ولولا هذا؟

قال: لا تكن لحوحاً!"

ويكتب أحمد حسنين فى كتابه "فى صحراء ليبيا" مفسراً ما يعنيه موقفه .. ملقياً المزيد من الضوء على معنى الخوف من الله فى جوف الصحراء: "وفى تلك اللانهاية الساكنة يصفو الجسم والعقل وتنقى الروح فيشعر الإنسان بأنه أقرب إلى الله عز وجل ويحس وجود قوة قاهرة ليس لقوة أخرى أن تحول قلبه عنها. ويتسرب إلى نفسه الإيمان بالقدر الغالب والاعتقاد بحكمة ما كتب الله. فيصبح شديد الاستسلام حتى يهون عليه بذل حياته للصحراء دون تبرم. وهناك حقاً أوقات يشعر فيها بأن الحياة قليلة الوزن هينة".

وتنتهى الرحلة الأولى إلى الكفرة وتؤدى الغرض منها، مع أن المعدات العلمية لم تزد كما يقول صاحبها عن بارومتر وبوصلة. ويعود كل من أحمد حسنين وروزيتا إلى وطنيهما. وبينما تشيد الصحافة العالمية بأهمية رحلة حسنين الاكتشافية وشجاعة صاحبها فى استقبال المجهول الخطر فى الصحراء .. يقع من روزيتا فوربس ما لم يكن فى الحسبان. إذ تنكر السيدة الإنجليزية بوقاحة، أن يكون الرحالة المصرى هو صاحب فكرة الرحلة ومنظمها وقائدها والمخطط لها فى كل كبيرة وصغيرة. إذ تعزى الفضل كله إلى نفسها، فهى وحدها التى خططت لرحلة الكفرة وقادت قافلتها. ولم يكن أحمد حسنين إلا مجرد تابع أجير لديها فيها، يقوم بالترجمة بينها وبين الأعراب! تنشر روزيتا فوربس هذا كله فى الصحافة الإنجليزية ثم لا تلبث أن تصدره فى كتاب .. تستهين فيه بأحمد حسنين وتسخر منه وتصوره رجلاً ناعماً مدللاً، أهم ما يهتم به هو بيجامته الحريرية وزجاجات الكولونيا الفرنسية التى يتعطر بها! وهكذا استلبت منه كل فضل وشوهت موقفه .. ناقمة حاقدة عليه!

ولكن لماذا فعلت روزيتا هذا كله وكذبت فيه على طول الخط؟ هل هو بشكل عام الاستعلاء التقليدى للجنس الأبيض على الأجناس الملونة فى ذلك الوقت الذى كانت أوروبا تحتل فيه العالم الثالث .. وبشكل خاص استعلاء الإنجليزية على المصرى فى زمن تستعمر فيه بريطانيا العظمى مصر؟ أم هى دناءة الطبع التى تحيط بعديم الموهبة إزاء صاحب الموهبة؟ أم

هو ثأر الأنثى المرفوضة لكرامتها خاصة والرجل شرقى عربى؟ أم هى كل هذه البواعث مجتمعة؟

وبالرغم من متانة تكوين أحمد حسنين، فقد هزته الصدمة وهو يفاجأ بما لم يتوقع أبداً! ويكفى أنها كدرت فرحته، ولوثت الثوب الأبيض، عرضته من حيث لا يحتسب وهو البرىء للاتهام وترخصات الجهلة. ومع ذلك فقد جاء موقفه من الحدث وصاحبته أبعث على الدهشة .. فهو لا يرد على أكاذيب روزيتا ولا يفند مزاعمها! ودهش له أصحابه من المصريين والأجانب، خاصة وله من الأصدقاء الإنجليز الكبار من أبدوا مساعدته فى إظهار الحقيقة وإرجاع الفضل لصاحبه. ولكن أحمد حسنين رفض! وكانت حجته أنه أرفع من أن ينازل امرأة! بينما كان الداهية الأريب الذى تعلم فى أوروبا يعد ضربته بأسلوبه الخاص وبالطريقة التى يفهمها الإنسان الغربى .. أى يرد الضربة بأعنف منها ويدحض الادعاء عملياً .. بحيث ينسف نسفاً، وكأن الجزاء أو الثأر من جنس العمل! ولا يتأتى ذلك إلا باكتشاف جديد ومغامرة جديدة، يوغل فيها هذه المرة أكثر وأكثر .. ويذهب إلى مناطق أشد وعورة لم تطأها قدم غريبة من قبل! وهذا التكوين الذى يشكل فى الواقع طبيعة أحمد حسنين، هو بعض طبيعة الجمل سفينة الصحراء. وهكذا بعد شهور غير قصيرة، أى فى سنة ١٩٢٢ يجهز رحلة ثانية بأدوات علمية عديدة، ويفاجئ العالم وهو يتجه أيضاً ناحية الصحراء الغربية أو الليبية كما كانت تسمى وقتئذ. وكله إصرار على أن يبلغ ما لم

تسجله الخرائط من قبل! ويعاني مصاعب جمة وعوائق كثيرة ومعاناة شديدة .. ولا يعبأ. ويوفقه الله فى اكتشاف واحة جديدة هى أركو! ولا يكتفى ويستمر فى خط سيره على رأس قافلته، ويقع على الاكتشاف الثانى .. واحة العوينات!

ويهتز العالم للاكتشافين اللذين غيرا بعض المفاهيم الجغرافية القديمة. ويسطع اسم أحمد حسنين فى صحافة العالم. وتنهال على الرحالة المصرى آيات التقدير من مختلف أنحاء الأرض، وتهديه حكومات كثيرة فى الشرق والغرب ميدالياتها الذهبية وأوسمتها الرفيعة. وفى مصر يهتز الشعب طرباً للتوفيق الذى أصاب ابنها النابغة، ويكرمه الملك فؤاد بإهدائه وساماً رفيعاً. وتقام لأحمد حسنين احتفالات كثيرة تعدد فيها بطولاته. وفى أحداها يقدم أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدته المعروفة "رحالة الشرق" التى كتبها عنه ويقول فيها:

أقدم فليس على الإقدام ممتنع
واصنع به المجد فهو البارع الصنع
أكبرت من (حسنين) همة طمحت
تروم ما لا يروم الفتية القنع
وما البطولة إلا النفس تدفعها
فيما يبلغها حمدا فتندفع

رحالة الشرق إن البيد قد علمت
بأنك الليث لم يخلق له الفزع
جزتك مصرثناء أنت موضعه
فلا تذب من حياء حين تستمع

("الشوقيات" - ج١)

ويكتب عباس محمود العقاد معجباً برحلة أحمد حسنين وصاحبها قائلاً فى كتابه "مطالعات فى الكتب والحياة": "إن الذين أعجبتهم رحلة الصحراء لا يعنيهم ما يربح التجار وما يدبر الساسة، ولا يصغون إلى رواياتها وتجاربها لغرض من الأغراض غير أنهم أرادوا أن يشعروا كما شعر صاحبها ويختبروا فى نفوسهم ما قد اختبره في نفسه ويجعلوا الصحراء ملكاً من أملاك حياتهم الغنية وجزءاً عامراً من أجزاء خيالهم الرغيب. والرحالة المصرى يعرف ما يصنعه السائحون الجوابون أمثاله وهو .. أن يضيفوا حرفاً إلى معجم المعارف البشرية ويستزيدوا من فهم العالم الذى نعيش فيه. فإذا احتفل به القوم واستمعوا إليه فلأجل هذا لا لأجل التجارة أو السياسة ولا لمنجم يكشف فى الصحراء أو كنز مدفون فى العراء"!

أما الأديبة زوى رفيعة بدر فتتوقف من الرحلة عند نصها الأدبى باللغة الإنجليزية، فتكتب فى مجلة "الكتاب" المصرية عدد أبريل ١٩٤٦عن براعة صاحبها فى هذه الناحية قائلة .. "يجيد كثير من الكتاب المصريين الكتابة بلغة غير لغتهم

وبخاصة فيما يدبجون بالفرنسية. ولكن قليلاً من هؤلاء يجيدون الكتابة بالإنجليزية. وكتاب "الواحتان المفقودتان" الذى وضعه أحمد حسنين (باشا) بالإنجليزية هو سجل رائع لا للرود والاكتشاف فحسب بل لألوان من الأدب الرفيع ذى الشهرة الدولية".

وفى لندن تجتمع الجمعية الجغرافية الملكية الإنجليزية، لتنعم على الرحالة المصرى بأرفع أوسمتها الذى لا يقدم إلا لكبار المكتشفين. كما تمنحه الحكومة الإيطالية وسام سان لازار. وتشاء المصادفة أو غير المصادفة، أن يلتقى أحمد حسنين فى روما في إحدى الحفلات بروزيتا فوربس! التى تحييه وتهنئه بالوسام الإيطالى الرفيع الذى يضعه على صدره! وتسأله بسخرية على مسمع من الحاضرين:

- هذا وسام سان لازار؟ ترى أى عمل استحققت عليه هذا الوسام؟

وكان الجواب الذى انطلق من فم أحمد حسنين كالقذيفة:

- استحققته بفضل طهارتى يا روزيتا!

جاءت الصفعة مدوية وواضحة .. اصفر لها وجه الإنجليزية، التى أسرعت بترك المكان!

يقول الجنتلمان أحمد حسنين معقباً على الحادث بعد سنوات: نعم. لقد ثأرت لنفسى. ولكنه كان انتقاماً خسيساً ندمت عليه فيما بعد!

(٤)

أما المغامرة التالية، فهى أكثر تطوراً وأكبر خطـراً .. وأليـق بـالعصر الحديـث مـن أيـة مخـاطرة أخـرى. وهـى قيـادة هـذا الاختراع الحديث الذى كان قـد ظهـر منـذ وقـت قريـب و لم يستكمل بعد الكثـير مـن متطلبـات الأمـان .. وهـى الطـائرة! والتى تعد قيادتها فـى ذلـك الوقـت مغـامرة شـديدة الخطـورة ومرادفة للموت على مستوى العـالم كلـه! أيامهـا فـى الثلـث الأول من القرن العشرين، لم يكن الطيران قد دخل مصر ومـن ثم البلدان العربية كلها بعد! وكانت الطائرة تبدو شيئاً سحرياً مذهلاً وهى تحاكى الطيور وتنطلق فى السماء لأول مـرة منـذ بدء الخليقة بجنـاحين مـن حديـد .. تختصـر المسـافات الطويلـة بشكل لا يصدق، ولا يعوقها عائق فى الأرض والبحر والجـو. وعول أحمـد حسـنين أن يكـون أول مصـرى وعربـى يطـير .. ومن أوربا إلى القاهرة فى طائرة!

ويقوم أحمد حسنين فـى سـنة ١٩٣٠ بالمحاولـة الخطـيرة .. يشترى طائرة ويستقلها من لندن، ولكنها تقع به فى الأراضـى الفرنسية وإن لم يصب بسوء! ويشـجعه إصـراره علـى المضـى قدماً، فيعاود المحاولـة وينجـح فـى مغـادرة السـماء الفرنسـية، ولكنها لا تلبث أن تسـقط مـرة أخـرى ولكـن فـى الأراضـى السويسرية، وينجو من الموت مرة ثانية! ومع ذلـك يصمـم أن يستمر فى الطيران .. ويشـترى طـائرة ثالثـة تتحطـم بـه أيضـاً ولكـن فـى إيطاليـا! يقـول مصطفـى أمـين: "وحمـل رجـال

الإسعاف الطليان أنقاض أحمد حسنين ووضعوها فى المستشفى العسكرى. وشعر حسنين (باشا) بشبح الموت يقترب من فراشه، وقرر الأطباء أن الطيار الشاب سيموت مائة فى المائة. فى هذه اللحظة التى شعر فيها الشاب أنه سيفارق الحياة تذكر أن شوقى (أمير الشعراء) شبهه بالليث فراح يردد بصوت مرتفع: تشجع يا ليث .. تشجع يا ليث! وتشجع الليث وقاوم الموت، وغادر المستشفى بين دهشة الأطباء الإيطاليين. وما كاد يغادر المستشفى حتى اشترى طائرة رابعة وقرر أن يتابع رحلته إلى القاهرة. وقبل طيرانه بنصف ساعة صعد أحد الخبراء إلى الطائرة لتجربتها .. وبعد خمس دقائق كانت الطائرة شعلة نار .. احترقت واحترق معها الخبير. وأثر هذا المنظر على أعصاب حسنين وعدل عن العودة إلى القاهرة بطائرة خامسة." (عمالقة وأقزام)! وغلّب عامل النكوص على الإقدام، البرقية التى جاءته من القاهرة .. تأمره بالكف عن المحاولة وركوب أول باخرة والعودة إلى مصر. ويستجيب أحمد حسنين على الفور! فقد كانت البرقية من .. جلالة الملك فؤاد!

(٥)

الفارق بين الجادين والفارغين، أن الأولين مثل أحمد حسنين يحولون أمانيهم إلى واقع بالجهد والعرق .. أما الآخرين فهم يحولون أمانيهم إلى أحلام يقظة وعوالم فارغة لا سند لها من الواقع! فينجح الفريق الأول ويخفق الثانى. وقد

حقق حسنين كل ما تطلع إليه، إلا البعض الذى لم تستجب له الأقدار فيه، والذى لا حيلة للإنسان المجتهد إزاءه! كان شديد الطموح .. فالنجومية العادية لا تبهره. فهو يريد أن يرتفع فوقها ليكون أحد مراكز الثقل الهامة فى بلده .. واحداً من القلة القليلة التى تتربع على قمة القمم، حيث يشارك فى صنع القرار المتعلق بمصائر الملايين! وهذا الطموح العظيم يتحقق كثيراً فى بلاد تتسم نظم الحكم فيها بالديمقراطية التى تتيح للفرد أن يصعد إلى أسمى المراتب. أما فى بلد كمصر يتسلط عليها استبداد الحاكم، فلا سبيل إليه مهما بذل المرء من جهد أو عرق شريف! إلا إذا غير الأسلوب والتمس طرقاً أخرى .. وكان أحمد حسنين ومكره أخاك لا بطل، يعرف السبيل إليها!

ويهديه تفكيره بعد أن انغمس فى المجتمع الراقى وأصبح واحداً من نجومه، يرتبط بالصداقات مع الأمراء والأميرات والنبلاء والنبيلات .. إلى ضرورة مصاهرة هذا الوسط النادر، ليكون سلمه فى الصعود إلى هدفه! ولا وسيلة غير ذلك ما دام اختار أن يكون حيث وضع نفسه! فإذا كان النظام الملكى غير الجماهيرى يقسم المصريين إلى حكام ورعايا أو سادة وعبيد .. فمغامرنا مضطر وقد فضل أن يكون من الصنف الأول، أن يلتمس الأداة التى تجعله واحداً منهم! وانشغل بال أحمد حسنين طويلاً بشأن الفتاة التى تصله شرعياً بهذا العالم المميز، وما يلبث أن يجدها .. محاطة بالعديد من المعجبين أصحاب الألقاب الرفيعة .. أبناء الباشوات والنبلاء والأمراء! وكانت لطفية ابنة الأميرة شويكار وسيف الله يسرى باشا.

وشويكار هى الزوجة الأولى للملك فؤاد وأم ابنته الأميرة فوقية، أى الأخت غير الشقيقة لسمو ولى العهد والملك القادم فاروق الأول! ولم تكن المقارنة بينه وبين المعجبين بالضآلة المنشودة فى صفه! ومع ذلك ازداد إصراراً على نيلها .. فلا شىء يشجعه على المقاومة مثل التحدى المباشر أو غير المباشر! وهكذا أقبل على مهمته!

كان قد تعارف عليها من قبل، فلم يجد صعوبة فى أن يؤكد التعارف، ووجدها معجبة مثل غيرها بمغامراته وأمجاده، التى أعطته فى أعين الفتيات سحراً لا يقاوم، إذا أضيفت إليها رشاقته وأناقته وذوقه المرهف ورقة تعبيره وثقافته. وكان حسنين يعرف جيداً أن هذا كله لا يدفع فى قمة الوسط الراقى إلى زواج، وأن يسر الأمر كثيراً. ويدرك أنه فى حاجة إلى الاستعانة بعنصر آخر يذلل الصعاب .. وهو الحب! فليستعن بالعشق على إخضاع الفتاة برغم أنه لا يغرم بها! وما المانع .. والضرورات تبيح المحظورات! وهكذا رمى شباكه، وبمهارة ابن البلد الذكى خريج اكسفورد، صاحب البطولات. وببراعة المغامر دون جوان وباعه الطويل فى فهم المرأة .. يوفق الشاب الطموح فى مأربه. تحبه لطفية وترضى عنه الأميرة شويكار .. التى تقبله زوجا لابنتها!

وتقوم القيامة فى كل مكان! سواء بالنسبة إلى الذين فوق أو الذين تحت. الأولون بدمائهم النبيلة الزرقاء يغضبون مستهجنين أن تلوث هذه الدماء النقية الفاخرة بدماء الرعاع أو الشعب مهما وصل الفرد منه إلى ارتفاع. ويأنفون أن

يتجاوز أحمد حسنين موضعه مهما بلغ من مجد ويصبح واحداً منهم. كما ينقمون عليه أن يسرق من ممتلكاتهم الخاصة الثمينة جوهرة الأحق بها واحد من طبقتها ومن فى مستواها الرفيع. أما جمهرة الناس التى يتكون منها الإنسان المصرى العادى، فقد اسعدتهم "الخبطة"، وزهوا لأن واحداً منهم من صميم الشعب .. ملك الجرأة والشجاعة أن يقتحم عرين الأسود ويخطف من بين أيديهم إحدى حورياتهم. وبدا الأمر لديهم أشبه بأحداث القصص الخيالية ودنيا الحواديت، التى يتمكن فيها الشاطر حسن الفقير من الزواج بست الحسن والجمال بنت السلطان! وهذه المرة لم تكن بنت السلطان بالضبط، بل بنت الأميرة حفيدة محمد على مؤسس الأسرة المالكة!

لقد غطت فعلة أحمد حسنين على حدث آخر مماثل وإن لم يبلغ هذا الحجم، وقع منذ سنوات طويلة وهز المجتمع المصرى وقتها أيضاً. عندما تزوج محامى فلاح ابن فلاح من الطبقة الفقيرة، من ست الحسن والجمال ابنة رئيس الوزراء الثرى .. الذى ظل فى منصبه العالى أكبر زمن فى تاريخ رئاسة الوزارات المصرية حتى اليوم .. أربعة عشر سنة كاملة! أما الأول فهو سعد زغلول، والثانية هى صفية، والثالث هو مصطفى فهمى باشا! ولكن أن يصاهر شاب مصرى ابن شيخ أزهرى متواضع .. الأسرة المالكة نفسها، ومن فتاة ترث الملايين -والعملة كانت الجنيه الذهب- فهو يعد أعجوبة الأعاجيب، خاصة فى الربع الأول من القرن العشرين! وهكذا

حصل أحمد حسنين برمية واحدة على الجمال والمال والأبهة، وأهم من هذا كله وضع قدمه على بداية طريق نوال السلطة. وكان زواج المصلحة الذى وفق فيه أول خطوة مرموقة فى تجسيد حلم أحلام حياته فى مركز الثقل! ففى البلاد المتأخرة أو الجاهلة التى يحكمها الطغيان .. تختلط القيم شريفها بوضيعها، ويتقدم الانحراف ويتأخر الشرف ويصبح القريب من السلطان ملء السمع والبصر ومناط الأمل والرجاء! وهذا ما كان يصبو إليه أحمد حسنين وما أتاحه له الزواج من ابنة الأميرة!

وتمضى الحياة هينة لينة سعيدة والزوج المشهور يعيش حياته، لا تنتقص منها ذرة. يساعد على ذلك أن الحب غير مرتبط فى فكره بالزواج. ثم يجد جديد لم يكن فى الحسبان، فإن العشرة التى تظهر على مر الأيام ما فى الأعماق والذى لا يمكن للسطح أن يبرزه، كشفت ما عليه تكوين الطرف الآخر من عناصر كثيرة محببة فى لطفية، جديرة بالحب والإعزاز والامتنان. ولا يلبث الزوج رويداً رويداً أن يتيم بزوجته .. ويحبها حباً عنيفاً لم يحمله لامرأة غيرها .. كما يعترف أحمد حسنين نفسه! وتنجب له ابنة الأميرة الأبناء فتكتمل سعادته الزوجية.

ويثمر مصاهرة العائلة المالكة ثمرته المباركة فى الوظيفة أيضاً .. ويقفز فيها أحمد حسنين قفزات واسعة. فمن المفتش بوزارة الداخلية، إلى السكرتير بالسفارة المصرية فى واشنطون. ومنذ أن تطلع مغامرنا إلى ربط أسبابه بمجتمع الأسرة

الحاكمة، وهو يبحث عن الوسائل التى توصل إلى قلب هذه الأسرة نفسها .. جلالة الملك فؤاد! وينجح الزواج فى أن يهيئ له العمل بعد ذلك بسراى عابدين فى وظيفة الأمين الثانى لجلالة الملك. وما لبث فؤاد أن وثق به واطمأن إليه، فاختاره رائداً لصاحب السمو الملكى الأمير فاروق ولى العهد. وعندما تقرر أن يتعلم الأمير فاروق فى انجلترا، يسافر معه أحمد حسنين. وهناك صنع بطل الشيش والطيار والمكتشف السابق لنفسه ما عده نجاحه أو مجده الأكبر، وهو فى الواقع انحداره الأكبر .. الذى حصل به على ثقة ولى العهد فى الغربة وحبه وإعجابه، ومن ثم المكانة المؤثرة عنده بعد ذلك عندما أصبح بعد قليل ملكاً. ويدفع أحمد حسنين الثمن من كرامته غالياً وهو يقدم للأمير الشاب من الخدمات مالا يشرف أبداً. لقد خان حسنين نفسه وأضاع بسلوكه الجديد كل ما بناه بالجهد والعرق والشرف ومواجهة الصعاب والاعتماد على النفس. أعماه حب السلطان فنسى قيمه العامة التى تجعل العصامية هى أداة الإنسان الشريف فى بناء مجده. إن المغامر العظيم الذى تحدى الموت مراراً بشجاعة فائقة تستهين بكل مغريات الحياة، وهى أقصى ما يبلغ المرء من قوة روحية مناضلة تتسم بالجلد وقوة الشكيمة والمقاومة، وتستصغر بذلك المطامع .. يتخاذل بشكل مأساوى بلا ضرورة، ويتنكب طريقه الصعب إلى نقيضه السهل ويركب فى سبيله متن الفساد والإفساد وهو يدوس على الأخلاق والمبادئ.

وهكذا بدلاً من أن يرعى الله فى الإشراف على الصبى المراهق ولى العهد، إذ به يرعى الشيطان ويشجع فاروق على الانحلال وييسره له ويحببه فيه ويدفعه إلى المغامرات النسائية. لم يستشعر مغامرنا لحظة واحدة مسئولية مربى الملوك، الذى يسترشد فى عمله بالقيم النبيلة والمثل العليا، يحببها لولى العهد وينشئه عليها ويؤصلها فى نفسه. لتشكل نظرته فى التعامل مع شعبه فى قابل الأيام حين يغدو ملكاً. لم يأخذ أحمد حسنين عمله بالجد الواجب إزاء مهمة ليست بالهينة، بل خطيرة لأنها تتصل بمصائر وملايين فى الغد القريب أو البعيد. بل عد تربيته لفاروق نوعاً من الهزل اللاهى لا ينظر فيه إلى أبعد من قدمه لأن فى ذلك صالحه الخاص. لقد وجدها حسنين فرصة العمر التى أتاحها له القدر، الذى لن يفعل ذلك مرة أخرى بهذا الشكل. فمن أين له أن يجد فى كل يوم، ولياً للعهد يتقرب منه أو يؤثر فيه، واستغلها أحسن أو أسوأ استغلال! وهكذا كان أحمد حسنين أول من أفسد أخلاق فاروق، وبذر فى نفسه فى وقت مبكر بذور الشر والحرام .. لا الخير والحلال. ويلجأ مغامرنا فى ذلك إلى ما يناسب تحوله الجديد المكيافيللى وهو الأسلوب الذى لا يلبث أن يتقنه ويصبح من أعلامه .. وهو فن الدسائس! كان ينتظر أن ينام الجميع فيقفز هو والأمير الصغير من فوق سور القصر، ويذهبان إلى الملاهى الليلية حيث الاستمتاع بالعربدة واللهو والمرأة .. ويكون أحمد حسنين قد أعد لذلك عدته فى تكتم الرائد الأمين على مسئوليته!

لم يكن أحمد حسنين وحده هو المشرف على الأمير فاروق فى لندن، بل كان يشاركه المهمة الكبيرة الضابط العظيم عزيز المصرى. وكانت فكرة الملك فؤاد فى الاستعانة بالرجلين المشهورين، أن تقوم دعامة تربية ابنه ولى العهد على ناحيتين، عسكرية ومدنية. ففؤاد لا ينسى أنه كان ضابطاً فى شبابه، ويعرف ما للعسكرية من تقويم للإنسان خاصة إذا أعد ليكون ملكاً .. ولهذا أيضاً أدخل فتاه كلية عسكرية لا مدنية فى انجلترا. ولم يسعد حسنين بهذا الاختيار لعزيز المصرى بالذات .. لأنه لم يكن أى ضابط، بل صاحب أمجاد وبطولات. كان رجلاً قوياً شجاعاً منضبطاً مستقيماً مناضلاً، ساهم فى أكثر من حركة تحرير شعبية فى الوطن العربى .. عنوانا للعسكرية ذات العلم والكبرياء والشرف والخلق. لا يعرف الالتواء أو الدبلوماسية على عكس أحمد حسنين، الذى كان يتطلع إلى التخلص من الضابط، ليخلو له الجو وينفرد وحده بالإشراف على ولى العهد.

ولحياة الليل آثارها على الشخصية والسلوك والهمة والنشاط، كما لم يكن ممكناً بالطبع مع تكرار اللهو والانفلات، أن تخفى اللعبة على الرجل العسكرى شديد الملاحظة. كما أن هناك دافعاً ثالثاً يشتم منه رائحة التآمر وصاحبه بلا شك حسنين، يتبلور فى ضرورة وصول أخبار زيارات فاروق الليلية إلى الضابط الصارم، الذى لن يسكت بطبيعة الحال على الوضع الخاطئ. وهكذا عمل مغامرنا لغرض فى نفس يعقوب .. على تسريب مغامرات فاروق إلى

الرائد العسكرى! والنتيجة فى حسبانه معروفة ومضمونة! فلن يقبل الضابط الجاد صاحب المبادئ أفعال فاروق، كما أنه لن يسكت أيضاً. بل سيواجه الأمير المراهق معنفاً. وبالطبع لن يرضى الثانى. والمحصلة أن عزيز المصرى الحريص على كرامته سيترك المكان عاجلاً أو آجلاً .. وهو ما يستهدف حسنين .. لتخلو له الساحة كلها تماماً! وما عمل حسابه تم .. كما خطط الداهية بالضبط!

يقول عادل ثابت فى كتابه "فاروق الأول الذى غدر به الجميع": "وكان اللواء -عزيز المصرى- الذى كان ينظر نظرة عدائية محافظة إلى المتعة التى فى الظلام قد حاول أن يفرض نظاماً عسكرياً على فاروق وقال له: "حقيقة أن سموك لا تنام فى العنابر كالآخرين لا يعنى انك تستطيع أن تتصرف بحرية مطلقة، بل على العكس فإنك ستكون ملكاً فى المستقبل ومن ثم فإنه ينبغى أن تضرب مثلاً طيباً وتذهب إلى فراشك مبكراً كالآخرين على الأقل، إن لم يكن قبلهم. وكان رد فعل فاروق التحدى الذى كان حسنين يتغاضى عنه بصورة خفية. وقال فاروق: "إننى لم أفلت من مسز تايليور (مربيته الإنجليزية فى القاهرة) لكى أقع فى قبضة مربية أخرى!" وبالطبع رفض عزيز المصرى أن يستمر فى مهمته، ويقدم استقالته إلى الملك فؤاد التى يقبلها فى الحال! وهكذا ولدت الأيام الأولى لفاروق فى انجلترا، حبه الكبير لأحمد حسنين وبغضه الكبير لعزيز المصرى إلى النهاية!

(٦)

وجد أحمد حسنين وهو قارئ تاريخ ممتاز، أن الكثيرين من دهاة السياسة في مختلف العصور في الشرق والغرب .. استطاعوا من وراء ستار وهم قريبون من رأس الدولة ومؤثرون في صاحبه، أن يجمعوا خيوط السلطة كلها في أيديهم، وأن يكونوا هم الحكام الحقيقيين! فلماذا لا يفعل وهو ليس أقل ذكاء منهم! وكان المناخ في مصر مناسباً من وجهة نظره للقيام بهذا الدور! فالملك فؤاد في الحلقة السادسة من عمره، وهو يشكو من عدة أمراض. وولي العهد لايزال صبياً وأمامه سنوات ليبلغ سن الرشد، كما أن حسنين على صلة طيبة بالإنجليز المستعمرين ويعد من أصدقائهم، فلا خشية من ناحيتهم. فلماذا لا يضع نفسه بالقرب من قلب الدائرة، ليمكنه التحرك بسرعة وفعالية! ولكن هذا القلب لا يقتصر على ولي العهد وحده، بل يضم إليه أمه أيضاً .. فلتستهدف الخطة إذن -وهي بالطبع تتحرك قبل الهناء بسنة كما يقول المثل- هذين الطرفين معاً! وليسبق الأحداث، فهو أحد سمات أصحاب الدهاء.

ويقتحم صاحب المخاطرات الجريئة المغامرة الجديدة وهي ليست أقل خطراً .. بل لعلها أكثر، لأنها تتخذ موقعها في بؤرة صانع القرار .. وفي بلاط الملوك المليء بالدسائس والمؤامرات .. وبطلتها غير العادية .. جلالة ملكة مصر الملكة نازلي! وقبل أن يفعل يكون قد درس جيداً كالعهد به ما هو

مقبل عليه، واقفاً على نقاط القوة والضعف فى موضوع الاقتحام .. وليسدد ضربته إلى أخطر مواقع الحصن. وهكذا بطريق غير مباشر أخذ الأمين الثانى للملك فؤاد يبدى تعاطفه لها، وكانت الملكة فى حاجة إلى هذا التعاطف. فهى تعانى من قسوة وغيرة الملك .. ومن ضيق يتزايد من الحصار حولها.

عرفت الآنسة نازلى ابنة عبد الرحيم صبرى باشا مدير (محافظ) المنوفية الأسبق فى عشرينات القرن العشرين، كنجمة من نجمات المجتمع المصرى الراقى .. فتاة جميلة غنية مرحة .. رومانسية حالمة نعم ولكنها قوية الشخصية، ليس من السهل أن تطوى بسهولة كبنات جنسها فى ذلك الحين .. اللاتى كن "كالعروسة الحلاوة" .. تتهشم لو ضغطت عليها! وقوة شخصيتها جعلتها تتجاوز بعض مفاهيم عصرها الخاصة بالفتيات، فتقبل على هواية لم يكن الشبان أنفسهم يقبلون عليها .. مثل التصوير الفوتغرافى وتحميض الصور وطبعها بنفسها فى معمل خاص بها! كما أحبت الآنسة نازلى أيضاً هواية أخرى لا تقل غرابة بالنسبة لغيرها، وهى الفن التشكيلى وتذوقها له وترددها على معارضه التى يقيمها عادة الأجانب فى ذلك الوقت. ولما كانت تحس فى نفسها بموهبة فنية، فقد أخذت ترسم وأبدعت عدة لوحات اتخذت من الزهور التى تحبها موضوعاً لها.

واتسمت نازلى صبرى أيضاً بأنها فتاة ذات عاطفة جياشة وقلب مرهف. وكانت فى حوالى العشرين من عمرها عندما عاشت فى قصة حب عنيف مع أحد أقاربها، وهو الشاب

الوسيم شاهين ثابت. وتبارك أسرة الفتى والفتاة هذا الحب ولا تعترضان عليه .. ولا على ما يؤدى من زواج. وفى أحد الأيام تقع الواقعة التى تغير مصير الحب ونازلى معاً .. رآها عظمة السلطان أحمد فؤاد، فأعجب بها وأحبها، وقرر الزواج منها. ورآها فرصة لادعاء الارتباط بالشعب الذى يحكمه، من خلال الاقتران بإحدى بناته! وكان لفؤاد تجربة سابقة فى الزواج من إحدى قريباته وهى الأميرة شويكار التى أنجبت له طفلة هى الأميرة فوقية!

وجنت أسرة عبد الرحيم صبرى بليلة القدر التى انفتحت لها، وسمحت أن يصهر عظمه سلطان مصر منها! ومع أن نازلى هى الأخرى فرحت بنجم سعدها الذى جعل السلطان فؤاد يختارها هى بالذات من بين بنات مصر جميعاً زوجة له. وازدهاها اللقب المنتظر والمكانة السامية التى لم تكن تحلم بها .. وهى تقفز مرة واحدة من فتاة مغمورة بين ملايين إلى السيدة الأولى .. عظمة سلطانة مصر .. إلا أنها تمنت لو حصلت على الحب والمركز معاً!

ولما كان الحب فى ذلك الحين عملة غير متداولة غالباً فى المجتمع المصرى فى كل الطبقات .. فقد ساعد ذلك الآنسة نازلى على الإقبال على العاشق الجديد عظمة السلطان حاكم مصر. ومضت بها أيام الخطبة فى أجواء سحرية نعمت فيها بما لم يخطر على بالها يوماً .. والمجتمع كله يتودد إليها ويتمسح بها ويرجو رضاءها عنه! ومع ذلك ظل فى أعماقها شىء يتعلق بالماضى والحبيب القديم، ينفجر بغتة وفى أسوأ الأوقات

غير الملائمة .. بعد أن بلغ هناؤها القمة بما هى مقبلة عليه فى ظل فؤاد .. وقع هذا فى صبيحة يوم الزفاف نفسه! إذ قررت فى لحظة مشحونة بالضيق والغضب من نفسها قبل غيرها، أن ترفض الزواج وتعود إلى غرامها القديم .. فقربها منه يساوى الدنيا بأسرها. وتقرن الفكر بالفعل، وتهرب من قصر أبيها فى غفلة من العيون الكثيرة التى لم يجر بخاطرها أبداً أن تفر العروس .. وعروس جلالة السلطان فى يوم فرحها، ملتجئة إلى بيت حبيبها السابق .. الذى تنقل بها إلى أكثر من منزل حتى لا تقع عليها أعين المطاردين! وفى النهاية وهو يدرك أن لا فائدة .. لأنهما أضعف من الوقوف فى وجه المجتمع قبل السلطان .. يعود بها إلى قصر أبيها! وكأن شيئاً لم يكن .. وتزف نازلى إلى فؤاد!

وتمر السنوات ولا يظهر ضيق نازلى بزواجها من السلطان -الذى أصبح ملكاً بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢- إلا بعد أن تأكدت أن حياة الملكة لا يمكن أن تكون كلها كما تخيلت فى البداية لهواً وحفلات ونزهات. وهذا ما يفسره إقبالها أولاً على فؤاد وسعادتها فى معاشرته قبل الزواج، كما صور بيرم التونسى فى زجله المشهور الذى نفى بسببه إلى فرنسا. وبعد أن أنجبت للملك الولد والبنات وأصبحت أم ولى العهد، وبشمت من حياة القصور والتبجيل والتفخيم .. ردها هذا كله إلى عكسه. وتطلعت إلى ما تستمتع به غيرها من النساء، من حرية. وضخم من هذا الشعور غيرة فؤاد عليها وقسوته فى معاملتها. ولا غرابة أن يكون شعور نازلى

بهذا الشكل، بعد خمسة عشر عاماً من الزواج. فإن الكثيرات من الزوجات غير الملكات تتعرض لنفس الأزمة فى ذات الظروف. خاصة إذا استشعرت ضياع الشباب واقتراب الشيخوخة بعد بلوغ سن اليأس. وهكذا عندما مات الملك فؤاد سنة ١٩٣٦، كانت نازلى قد كفرت تماماً بسجنها الذهبى وبلغت روحها الحلقوم، وتلهفت على التحرر وعلى تعويض ما فاتها على حد قولها من ملذات!

فى المجتمعات المنغلقة أو القريبة منها، لا تبعد العين كثيراً فى بحثها عن المتع الحلال أو الحرام. ربما اطمئناناً إلى الجوار أو جهلاً بما هو غير قريب أو قلة حيلة .. أو هى جميعاً، وكذلك فعلت نازلى! ولما كان القصر يحفل بالشباب فقد انتقت الملكة الأم أبرزهم، وكانا اثنين لا واحداً! هما الضابط عمر فتحى، والأمين أحمد حسنين! وضعت عينيها عليهما معاً فى وقت واحد! فالنهم والتهالك والتسابق مع الأيام، لم تترك لها بقية من صبر على العشق المعقول! ومن الطريف أن الغيرة التى كانت مثار شكوى نازلى المرة من فؤاد وهى زوجة له، أصبحت لعبتها المفضلة وهى أرملته! لقد تحول المضروب كالعادة فى مثل هذه الحالة إلى ضارب! كأن الغيرة سرت فى دم نازلى بعد أن انتقلت إليها من فؤاد وهى لا تدرى! فاستخدمتها فى الإيقاع بين الشابين مثيرة البغضاء بين الصديقين! وكل منهما يحاول أن يستأثر كلية بقلب الملكة الفاتنة ويكون عند حسن ظنها!

وفى الواقع كانت المعركة غير متكافئة بين ضابط الحرس والأمين الأول فى القصر .. وهى معركة تحتاج قبل كل شىء إلى الدهاء الشديد، الذى يتمكن بإحكام من وضع الخطط والمداورة والمناورة والوصول إلى بغيته بصبر وأناة. وهى سمة مفتقدة فى تكوين عمر فتحى، بينما هى متوفرة بل فى قمتها عند أحمد حسنين! وفقدان هذه الصفة عند ضابط الحرس لم تكن وحدها التى أنهت الموضوع لصالح غريمه، بل شارك فى ذلك أيضاً طبيعة عمر فتحى نفسه. فهو لم يكن من هواة المغامرات والدخول فى مؤامرات ومناورات .. وهكذا انفسح المجال لأحمد حسنين ليصول فيه ويجول!

بدت نازلى فى البداية الأنثى المتحررة والملكة التى تكفى فى مجال العاطفة والحب أيضاً، أن تومئ فتطاع. وكان هذا حقيقياً بالنسبة إلى الجميع .. ما عدا واحداً هو أحمد حسنين. ولعلها ظنت أنه كذلك بالنسبة إليه .. ولكنها كانت واهمة تماماً لأكثر من سبب. فمهما كانت عيوب أحمد حسنين، فليس من بينها قلة أو انعدام رجولة .. خاصة فيما يتصل بالعلاقة الحرة بين الرجل والمرأة .. بل كان على العكس تماماً من ذلك. ولهذا لم يكن من المعقول أن يكون لعبة فى يديها .. لمجرد أنه موظف بالقصر، وإنها جلالة ملكة مصر! لم يكن أحمد حسنين فى حاجة إلى أن يبدو "حمشاً" بالنسبة إلى المرأة .. لأنه كذلك بالفعل! فدراسته فى انجلترا وإجادته الإتيكيت واتسام حركاته برقة .. لم تلغ من طبيعته العنصر البدوى أو العربى الذى يجرى فى دمه! وكان يدرك من ناحية أخرى، أنه

لو فكر أن يتهاون لحظة واحدة فى كرامتـه، لضـاع وضـاعت طموحاته إلى الأبد! لأنه يتسـاوى بذلـك مـع الآخرين قصـار النظر، الذين لا يرون أبعد من أقدامهـم. ويظنـون أن الأمـور دانت لهم، بمجـرد أن الملكـة المتحـررة أبـدت إعجابهـا السـريع بهم. إنه لو فعل مثلهم لفقد ما يجذب إليه المرأة فى الملكـة .. وهو يعرف أن الأولى هى التى تقود الثانية وليس العكس!

وبالفعل كان أمين القصر الملكى بعيد النظر، فـإن نـازلى لا تلبث أن تسأم سريعاً الرجال الذين يتهـاوون تحـت أقدامهـا. فهى ليست من الغباء لتعرف أنهم يفعلون ذلك نفاقاً لصاحبـة التاج لا إعجاباً أو حباً للسيدة نازلى! كما أن تهـالك الرجـل على المرأة، يسلب من الأول فى نظر الثانية الكثير الـذى تعتز به وتحرص متلهفة عليه! وهكذا كسب أحمـد حسـنين بطريـق غير مباشر الجولة الثانية أيضاً! وبدأت الجولـة التاليـة لامتـلاك قلب نازلى نهائياً!

لقد مهدت الأرض بدرجة يقدم فيها مغامرنا هذه المرة على الاستعانة بسلاح أكثر خصوصية، فى مجال العلاقة القائمة بـين الرجل والمرأة وهو .. الغيرة! إن أحمد حسنين لم يعـد بالنسـبة إلى نازلى مجرد رجل تعجب به وتقضى معـه وقتـاً سـعيداً، بـل أصبح أكثر من ذلك .. معشوقاً تتلهف عليه. ولم تكـن هـذه المنزلة هـى مـا يطمـع فيهـا الأمـين الأول فـى القصـر، لسـبب بسيط، هو أنه يضع نفسه فوق ذلك بكثير! إذ لا يقبـل إلا أن يكون رجلها الأوحد! ومن ناحية أخرى فإن الوضع القـائم لا يضمن له ما ينبغى من السيطرة الكاملة على عواطف صاحبتـه

الملكة، وهى لم تستسلم بعد استسلاماً تاماً! ولذا كان من الضرورى لأحمد حسنين أن يعد لبلوغ هذه الغاية. مدركاً أن أنسب الوسائل لدفع نازلى إلى حبه نهائياً، هى أن يشغل فؤادها غيرة! وليس أسلب لعقل المرأة الوسط التى تودع الشباب، من وضعها فى موضع المقارنة مع الفتيات أو النساء الأكثر شباباً! هنا يذوب صبرها ويتجمع غضبها منفجراً شظايا! كذلك اتجه أحمد حسنين فى صلاته مع بنات حواء على مرأى ومسمع من الملكة. ليضعها مرغمة أمام اختيارها الأخير، الذى يفرض عليها أن تقول كلمتها النهائية. وما لبثت نازلى أن فعلت وحسمت الموقف .. واختارت رجلها .. أحمد حسنين!

(٧)

ولأن ما يحدث بين العاشقين لم يعد شيئاً صغيراً فى مكنة الجدران كتمانه، بل بلغ من الحجم أن يلمسه بوضوح عدد غير قليل فى قصر عابدين .. فقد خرج فى تكتم وهمس شديدين عن حدود القصر إلى المجتمع الراقى الذى بدأ يعلم بغرام جلالة الملكة بالأمين الأول. ويصل الخبر إلى لطفية .. ولكن الزوجة الطيبة التى تحب زوجها وبيتها وأولادها، لا تحفل فى البداية بما تسمع. فهى تعرف أن لزوجها أعداء، كما أن وظيفته فى القصر خاصة بعد وفاة فؤاد، تحتم عليه الكثير من الصلات مع نازلى. ولكن تتابع الإشاعات واستمرارها والجديد الذى تحمله التفاصيل، فرضت عليها

الشك. وجاءت مناسبة كانت المحك لتقف على حقيقة ما يدور. تقرر أن يسافر ولى العهد فى نزهة طويلة إلى أوربا، يتزود بثقافة الرحلات ويتعرف على الكثير من المعالم الحضارية. يصحبه فيها أمه وأخواته وخاله وزوجته. ويرافق نازلى .. زينب هانم ذو الفقار وابنتها الآنسة صافيناز ذو الفقار (الملكة فريدة فيما بعد)، وحاشية كبيرة يرأسها أحمد حسنين!

وتطلب لطفية من زوجها أن ترافقه فى الرحلة .. وفوجئ أحمد حسنين! وأدرك أن امرأته لم تعد بعيدة عما يدور حول نازلى وحوله. ولم يعتذر لها على الفور كما كان يريد، حتى لا يؤيد شكوكها. بل تعلل بالاستئذان من ولى العهد! وبالطبع لا يفعل! وإنما يعرض الأمر على نازلى، التى ترفض بالطبع على الفور! ومع ذلك يخبر حسنين لطفية بجواب مختلق .. إن فاروق لم يوافق! بحجة أن الرحلة رسمية ولا يسمح فيها بزوجات الموظفين! ولا ينطلى الكلام على الزوجة، وخوفاً من أن تظلم زوجها، تأخذ فى الاستفسار بطرقها الخاصة. وتتأكد أن الشاب الصغير والملك القادم لا علم له بالموضوع على الإطلاق! وتثور ثائرتها وتسب نازلى وأهل نازلى! وتلعن الزمن الذى وضعها وهى حفيدة محمد على الكبير الذى يجرى الدم الملكى فى عروقها فى موضع المقارنة، مع ابنة أحد الباشوات العاديين وهو عبد الرحيم صبرى، الذى كان منذ سنوات موظفاً ترقى إلى مدير لإحدى المديريات (المحافظات)!

وشاء سوء حظ أحمد حسنين، أن تفتضح كذبته بعد قليل، وزوجات رجال الحاشية يلحقن بأزواجهن في أوربا. وتسمع لطفية ذلك، فتغلي أكثر نيران الغضب في عروقها، وهي زوجة رئيس الحاشية والأمين الأول لولي العهد لا يتاح لها ذلك. وعندما يصل إلى أسماعها من وراء البحار نزوات جلالة الملكة نازلي مع أحمد حسنين، تدرك على الفور حجم الخطر الذي يهدد بيتها وحياتها الزوجية. ومن منطلق الغيرة تصوب لطفية أغلب سهامها إلى نازلي، فهي التي أفسدت عليها زوجها. لقد كان أحمد حسنين قبل أن تدخل الملكة في حياته كما ترى لطفية زوجاً نموذجياً! وبغيرة المرأة التي لا تحد، اندفعت ابنة الأميرة شويكار في هجومها على نازلي .. تندد بها في كل مكان. وذكر سيرة نازلي يقود إلى الحديث عن فضائح زوجها هو الآخر وابنها .. أي الملك السابق والملك اللاحق، فلا تتورع لطفية عن إهانتهما. فإذا كانا من أحفاد محمد علي .. فهي كذلك أيضاً! وبينما هي في إحدى المرات تلوك كعادتها في أخلاق عدوتها نازلي، إذ بها تسمع لأول مرة عن زجال اسمه بيرم التونسي .. نفي إلى فرنسا بسبب مقطوعة شعرية شعبية مشهورة اتهم فيها فؤاد ونازلي بالفجور .. للعلاقة الآثمة التي كانت بينهما قبل الزواج. وأحست لطفية أنها اكتشفت كنزاً لا يقدر بمال، وأن هذا الزجل يمكن أن يكون رأس الحربة المسمومة التي تصوبها إلى غريمتها وتصيبها في مقتل!

وكلفت من يأتي لها بكلمات بيرم وكانت ممنوعة .. وحصلت عليها. ولما كان أغلب أمراء ونبلاء أسرة محمد على المالكة لا يعرفون العربية إلا قليلاً، كما كان حال مؤسس الأسرة نفسها .. فقد جاءت ابنة الأميرة شويكار بمن يفسر لها زجل بيرم!

البنت ماشية من زمان تتمخطر
والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامى
أسبق على القبة وسوق قدامى
تلقى العروسة مثل محمل شامى
وأبوها يشبه فى الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وجيب لها شبشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك
يطلع كويس لا الولد يتكبر

•

الوزة من قبل الفرح مدبوحة
والعطفة من قبل النظام مفتوحة
ولما جات تتجوز المفضوحة
قلت اسكتوا خلوا البنات تتستر

وقررت لطفية أن تطبع الزجل بكميات كبيرة، وتوزعه على الجماهير لدى استقبال عودة نازلى وابن فؤاد!

ويعود الركب السامي من أوربا بعد خمسة أشهر، ويستقبل فاروق ونحن فى عام ١٩٣٧ استقبالاً حافلاً. فهو فى أول شبابه حبيب الشعب وأمله، واسمه نشيد حلو تردده الجماهير "يا فاروق يا نور العين". كما لم تكن نازلى قد اشتطت فى عبثها بعد. ويعكر هذا الاستقبال قليلاً بالنسبة لأبطاله، زجل بيرم الذى يوزع على الجماهير! ويجد أحمد حسنين فى بيته عاصفة هوجاء فى انتظاره! وتستقبله امرأته استقبالاً سيئاً. وكان المغامر قد اشترى لها هدية مجوهرات ثمينة، ما كاد يقدمها لها حتى رمت بها على الأرض بعنف .. غاضبة ناقمة .. متهمة إياه أنه لا يخونها فحسب بل يكيد لها بشراء الهدية من مال عشيقته .. وإلا فمن أين له وهو الرجل الفقير بثمنها الغالى! وكان حسنين مظلوماً هذه المرة! صحيح أنه لا يملك ثمنها، ولكنه اقترضه من صديق! وليس للملكة صلة بالموضوع!

ولم يخطر ببال أحمد حسنين أن غضب امرأته يمكن أن يشتط أو يتجاوز حدود بيته إلى خارجه، ولكنه عرف بأمر كل ما وقع فى غيبته بعد ذلك .. وهاله تطور الأحداث. فغيرة زوجته جعلتها لا ترى فى نازلى إلا امرأة مثلها .. بل أقل منها إذا قارنت سليلة محمد على بابنة صبرى. أما أن تكون نازلى هى ملكة مصر وابنها فاروق هو جلالة ملك مصر -القادم- فقد تجاهلت لطفية ذلك تماماً! وقبل أن يجد حسنين مخرجاً من المصيبة التى حلت به وتهدد كل آماله وطموحاته من موقعه فى القصر الملكى، بالقرب من فاروق

وأمه .. كانت نازلى قد تحركت! فقد وصلها هى أيضاً ما قالت وما فعلت زوجة حسنين ضدها. واستشاطت غضباً هى الأخرى وركبها ألف عفريت! ألا يكفى أنها سكتت عليها من قبل بتجاهلها أن امرأة ثانية فى حياة صاحبها غيرها! ولم تفكر أن تزيحها من طريقها، مع كل ما يبعث وجودها فى نفسها من الضيق والألم. وهى تعرف أن حبيبها يعطى أخرى ما يعطيه لها وربما أكثر، بحكم أن لطفية زوجته وأم أولاده! وتجدها نازلى فرصة سانحة لضرب لطفية وربما القضاء عليها .. ليخلص لها وحدها أحمد حسنين إلى الأبد. وصعّدت الحكاية وأخبرت فاروق .. بكل ما تكن للطفية من حقد!

وفى ذلك الحين لم يكن فاروق قد امتلأ جسمه شحماً ونفسه انحلالاً وقلبه قسوة وروحه غلظة. ولذلك لم يطلق لغضبه العنان أو يعط للقضية أكبر من حجمها .. بل أخذ يخفف عن أمه حتى هدأت قليلاً. وبعد أن انصرفت أرسل فى طلب أمينه الأول! ويفاجأ أحمد حسنين بتطور الأمر بهذا الشكل غير المنتظر، قبل أن يتحرك هو أو يتمكن من تطويقه ويحاصر خطره. ويسمعه فاروق ما أخبرته به أمه. وبأسلوبه الديبلوماسى يحاول حسنين أن يدفع عن امرأته -ومن ثم عن نفسه- السوء! وينكر أن تكون لطفية التى تخلص بكل قلبها وروحها للعرش والجالس عليه وأسرته، التى هى أسرتها .. قد فعلت ما يمس ولو من بعيد طرف جلالة الملكة! وكان فاروق يفهم أستاذه جيداً، فينهى اللقاء بهذه الكلمات .. يقولها وهو

يبتسم: مراتك اتجننت يا حسنين! شوف لك طريقة معاها .. وبسرعة!

ولا يمكث أحمد حسنين دقيقة أخرى فى قصر عابدين .. بل يسرع فى العودة إلى منزله. وهو يجهد الذهن فى سبيل للخروج من المأزق الذى وضعته فيه لطفية! ويقول محمد التابعى فى "أسرار الساسة والسياسة": وذهب حسنين إلى زوجته وقال لها إنها ارتكبت جريمة العيب فى الذات الملكية .. وإنها عابت فى ذات الملك أحمد فؤاد .. وعابت فى ذات الملكة نازلى .. وعابت فى ذات الملك فاروق .. وإن أقل ما يجب عليها أن تفعله الآن انقاذاً للموقف -وللمظاهر- هو أن تلتمس مقابلة جلالة الملكة نازلى وتنكر أمامها كل ما هو منسوب إليها .. وتؤكد إخلاصها وولاءها لها وللجلالة الملك"!

كانت لطفية هانم قد فكرت طويلاً فى كافة الاحتمالات التى يمكن أن تتعرض لها فى موقفها، ويهددها فى شخصها وبيتها. ووجدت أن الحسم هو أليق الأساليب بها وبحالتها. فهل تسكت عن بنت عبد الرحيم وتطأطئ الرأس، لتجد يوماً نازلى تستولى على بيتها كله؟ وما فائدة الاستسلام للأمر الواقع، إذا فقدت كرامتها أولاً .. ورجلها ثانياً؟ ولذلك عندما طالبها زوجها بالاعتذار للملكة، رفضت تماماً .. بل استنكرت قوله .. وهى تعرف أنها بذلك فقدت تعاطفه وتشحنه بالكراهية لها وتثقب طوق نجاتها إزاءه .. ولكنها تواجهه أيضاً بجريمته .. وآثارها المدمرة. ويبقى لها فى النهاية

عزة نفسها. إن نازلى ليست وحدها الملومة، بل هو أيضاً. بل خطؤه أفدح .. أليس هو الرجل؟ أو لم يكن رأيه فى صاحبته سيئاً من قبل. فإذا أراد أن تذهب إليها .. فستفعل .. ولكن لتقول لنازلى ما سمعته منه ضدها! ووعى أحمد حسنين الرسالة وسكت .. لم ينطق بحرف. وغادر المنزل لينتهى إلى قرار .. يعرف مقدماً أنه صعب، وعلى حساب قلبه. فهو يحب زوجته ويتمنى أن تربى هى لا غيرها أولادهما. ولكن كيف يمكن له أن يحقق ذلك، إلا إذا ترك وظيفته الكبيرة بالقصر وكل ما يتصل بها من أشياء عمل طويلاً على بنائها طوبة طوبة زمناً طويلاً .. بصبر ودهاء وإكراه النفس على مالا ترضى. إن الصراع لديه بين الطموح وبين الحب أو أى شىء آخر، معروف النتيجة سلفاً .. لأنه دائماً فى صالح الطموح أو الطمع! ويدوس مغامرنا على حبه لزوجته وعلى صالح أولاده .. ويطلق امرأته!

أكثر من رد فعل ضخم تباين باختلاف صاحبه، أثاره طلاق أحمد حسنين للطفية .. وجميعاً أدهشتهم المفاجأة غير المتوقعة. الأول .. فاروق الذى أصبح ملكاً، رفع قدر أمينه الأول درجات أخرى فى نفسه، وهو يراه يضع العرش وسمعة العرش فوق بيته وزوجته، فيطلق امرأته فداء للملك وأم الملك! هكذا تصور فاروق الذى لم يكن يعرف بالطبع ما يدور فى الخفاء بين نازلى وحسنين! أما نازلى فقد أسعدها الخبر سعادة غامرة، فلم تكن تظن أن صاحبها يحمل لها كل هذا الحب والإعزاز .. فيثور على زوجته التى يحبها، إلى درجة الطلاق

لأنها مست الملكة وأغضبتها. أما مجتمع الطبقة الراقية فقد أدرك أن أحمد حسنين قد تمكن من إخضاع نازلى تماماً، وأن لهذه الخطوة ما بعدها! أما المغامر الكبير نفسه فكانت له حسابات أخرى، تتضاعف فيها الجهود لاختصار المسافة المتبقية للوصول إلى هدفه الكبير!

والرجل الذى يضع العاطفة أو الحب أو المرأة، فى المكان الثانى أو الثالث من الأهمية مثل أحمد حسنين .. يكاد لا يعرف الهوى الحقيقى. وإذا عرفه لا يتذوقه كما يجب، لأنه يفتقد اللمسة الروحية التى تقف على الجوهر وتهمس لأعماق النفس وتثرى الإحساس الصادق الدافئ. ولم يكن مغامرنا من هذا النوع، كما دلت مواقفه الكثيرة من الجنس الآخر. واشتهر أحمد حسنين بذلك .. حتى أن واحداً من ألصق أصدقائه ينكر عليه أن يكون قد أحب نازلى يوماً! يقول محمد التابعى: "إن أحداً منا لم يكن يعتقد أن حسنين باشا ممثل بارع. وإن كل إشارة منه بحساب وكل خطوة بحساب وكل نظرة وكل عبارة موزونة بالدرهم والمثقال .. وأنه فى كلمة واحدة .. لا يفعل شيئاً اعتباطاً أو "لوجه الله" .. إنه لم يكن يحب نازلى. وهذا أمر مفروغ منه عند الذين يعرفون أحمد حسنين. ولكنه كان حريصاً على أن تحبه هى .. ومن هنا كان يتعمد -كما ذكرت- أن يثير غيرتها. لماذا؟ لماذا يحملها على أن تحبه .. بينما هو لا يحبها؟ لكى يخضعها لإرادته .. ويسيطر عليها. وقديماً قالوا: "إن الأقوى بين كل محبين اثنين

هو الذى يحب أقل من صاحبه" .. والذى يسيطر على نازلى يسهل عليه أن يسيطر -من ورائها- على فاروق ..".

ويستمر أحمد حسنين فى إلقاء الشباك حتى تسحر نازلى تماماً به .. وتفقد إرادتها إزاءه، وتصبح الملكة له قلباً وقالباً .. تابعة أو كالتابعة، وتنعم بحياتها كما لم تنعم من قبل!

(٨)

وأخيراً يصل غرام الأم إلى الابن، ويعلم به فاروق! وإذا شك الملك فى أمه لتحررها بعد وفاة أبيه، فهو لم يشك فى أستاذه ورائده أحمد حسنين .. فقد كان جلالة الملك الشاب يحبه ويحترمه ويخشاه. ولعل اطمئنان فاروق لحسنين، نجم عما يعرف من ضيق رائده بتحرر وانفلات جلالة الملكة فى القديم قبل الحديث. فلقد حدث أثناء الرحلة الملكية إلى لندن، أن أرادت نازلى الذهاب إلى ناد ليلى لتسهر فيه. ولكن لأن هذا النادى الليلى أو الكباريه، لا يليق بدخول الملكات .. فقد رفض رئيس الحاشية الطلب. وعندما أصرت نازلى، أغلظ لها القول. وذهبت إلى فاروق تشكو إليه، ولكن الملك لم يثر الموضوع أبداً مع حسنين .. فقد سعد أن يكون رائده بهذا الإخلاص بالنسبة إليه وإلى أسرته. ومع اتباع الأمين الأول ورئيس الحاشية الحذر فى علاقته بنازلى، فقد كان يعرف أن لا سبيل إلى إخفاء الأمر إلى الأبد عن الناس وعن وصوله يوماً إلى فاروق. ومع ذلك لم يتركه للمصادفات وأعد نفسه لاستقباله. وكانت له عيونه على فاروق ذاته، مما انقذه من

الكثير من المتاعب. ولعل أشهر الأحداث التى تروى فى هـذا الصدد، وتدل بالدرجة الأولى علـى مهـارة أحمـد حسنين فـى التمثيل .. مهارة يضعه فيها البعض قبل أكبر الممثلين فى زمانه وهـو يوسـف وهبـى، وكذلـك علـى ذكائـه الخـارق، وفهمـه لتكوين الملك الشاب الذى كان يؤمن فى ذلك الوقت بطهارة معلمه .. الموقف التالى ..

فى أحد الأيـام وصـل إلى فـاروق تقريـر، يشـير إلى زيـارة نازلى الليلية لأحمد حسنين فى منزله، وأنهـا تبقـى فيـه أحيانـاً حتى الصباح. ولم يرد جلالة الملك أن يصدق أو يعاقب قبـل أن يتـأكد. ولكـن مـن هـو الإنسـان "الثقـة" الـذى يمكـن أن يطمئنه إلى الحقيقة فى هذا الأمر الخطير الحسـاس بالنسبة إليـه وإلى أقرب الناس إليه .. ولا يخدعه أو يكـذب عليـه .. أكـثر من نفسه! وهكذا قرر فاروق أن يقـوم هـو بشـخصه بالمهمـة ويفاجئهما .. سواء فى حالـة البراءة أو الإدانـة! وفـى سـاعة متأخرة من الليل يقود جلالة الملك سيارته في شوارع القـاهرة النائمـة. ويوقفهـا فـى شـارع جـانبى بعيـداً عـن بيـت أحمـد حسنين. ولمـا كـان يعـرف دقـائق البيـت جيـداً، الـذى زار صاحبه فيه عدة مرات. فقد اختار إحدى النوافذ فـى الطـابق السفلي، ليدخل منها! وفتحها ببراعة بلا أدنـى صـوت، ونفـذ منها هو وخادمه الأرناؤطى محمد عبد الله. ولم يتوقف كثـيراً فى الدور الأول، لأنه يعرف أن حجرة نـوم أمينـه فـى الطـابق العلوى .. وهكذا صعد إليه. ولما كان ينتعل حـذاء مطاطيـاً،

فإن قدمه لم تش بأى صوت .. خاصة أنه كان فى ذلك الحين لا يزال رشيقاً نحيلاً!

كانت هناك أصوات خافتة تصدر عن الطابق العلوى، تزداد وضوحاً كلما اقترب منها فاروق. ويفتح حجرة النوم فلا يجد أحداً! وبحذر أشد يفتح باب الحجرة المجاورة .. ليجد بغيته .. أمه ورئيس الديوان! وألجمت المفاجأة لسانه فلم يقدر أن ينطق بحرف واحد .. وهو الذى أعد لهذه اللحظة شحنته. فقد شاهد أبعد الأشياء التى يمكن أن يصل إليها خياله .. أحمد حسنين باشا جالساً على الأرض .. يتلو آيات الذكر الحكيم، والملكة نازلى جالسة أمامه على الأرض أيضاً .. تنصت فى خشوع! أذهل المنظر جلالة الملك .. وتبخرت ثورته وحنقه وغضبه، ولم ينبس ببنت شفة .. ويعود من حيث أتى!

ولا تهنأ نازلى طويلاً بحبها، فبينما هى سعيدة بعاطفتها التى رست على شاطئ الأمان، إذا بها تكتشف أنها لا تزال وسط البحر الهائج المسمى بالحب تحت رحمة أعاصيره .. فأحمد حسنين كان يدخر لها مفاجأة لم تكن على البال .. بالها هى. إذ هو يبتعد عنها ويجفو قربها ويرفض أن يلتقى بها. وتصدم العاشقة كبيرة المقام، وتعانى كأية امرأة عادية من الجفاء والشجن والسهاد. ومن الغريب أنه لم يكن هناك جديد قد حدث! وإنما هو تكتيك الخطة الموضوعة، تحت زعم

يدعيه العاشق هو .. الخوف من الله! كأن هذا الخوف هو اكتشاف حديث وقع عليه فجأة!

وأنسى الموقف نازلى، أن أحمد حسنين صاحب المغامرات النسائية ليس من هذا النوع! واحتارت جلالة الملكة فى الأمر .. فحكاية الضمير أو الخوف من الله أو الحلال والحرام .. أشياء لا تتداول فى قصور الملوك ولا تحوى معانى محددة! وتزداد ارتباكاً بما يصل إليه عن طريق وصيفتها –ويسر به حسنين إليها– بما يلاقيه حبيبها من عذاب البعد. وهكذا تضخمت المشكلة و لم تعرف لها نازلى حلاً. وتتخبط المحبة الولهى إزاء التعقيد الذى حل بحياتها وكانت بسيطة من قبل. بل لم تعد تفهم كيف تمنع من تراكم أسباب الضيق وكيف السبيل إلى التخلص منها. كل ما تدرك حقيقة واحدة هى تفاقم حرمانها .. شديد حرمانها، إلى درجة أن تردد: "لا هو يسمح لى أن أعرف رجلاً سواه .. ولا هو يريد أن يأخذنى"! ولا يفوتها مع ما هى فيه من سوء وما تجد من ضيق .. أن تزدهى برجلها الذى يملك ملكة، ومع ذلك يتأبى عليها! ولكن هذا الازدهاء لا يعوض الحرمان ولا اللهفة على الحب، خاصة بالنسبة إلى امرأة تسابق الزمن لتستمتع بكل لذات الحياة. ولا قدرة لها على الصبر قليلاً فى الحاضر بعد أن صبرت كثيراً فى الماضى .. والعمر يتسرب والجمال يذوى والشباب ينصرم.

ويعتمد حسنين على هذه العوامل جميعاً فى بلوغ مأربه .. فقد عمل حسابه لها جيداً. بينما يلجأ إلى أسلوب الشد

والجذب لئلاً تخرج اللعبة من بين يديه. وينتظر الرحل من نازلي سرعة نفاذ صبرها لينتقل إلى الخطوة التالية فى خطته، دافعاً إياها إلى طريق مسدود .. وفى أحد أركانه .. يطبق عليها تماماً. فلا تجد مفراً وهى لا تدرى ما يراد بها من الارتماء فى الموقع الذى يحقق كل أطماعه. وتصدق توقعاته .. فسرعان ما تصل الملكة إلى درجة الغليان، فتنذره يوماً هائجة ناقمة .. إنه إذا لم يعاملها كامرأة .. فليعد ما بينهما كأن لم يكن! فقد ضاقت ذرعاً بهذا الوضع، وهي تريد حبه لا هجره! ويعود حسنين إلى تكرار حكاية الحلال والحرام والخوف من الله! وتنفجر نازلى غضباً، وتتهمه أنه يعقد الأمور لا يحلها، ويرفع شعاراً ليتجنبها منْ ورائه. ويدافع عن نفسه، ويقول كأنها تضطره إلى ذلك اضطراراً .. إن الحل موجود ولكنه مستحيل فى الوقت ذاته. ولكن متى يعترف الملوك والملكات أن هناك شيئاً فى الدنيا اسمه المستحيل! وتتهلف نازلى على معرفته. فيجيب صاحبها .. إنه الزواج على سنة الله ورسوله. ويسارع معقباً: وغير معقول أن أتزوج ملكة!!!

ما كادت نازلى تسمع أن هناك حلاً لمشكلتها حتى انفرجت أساريرها لأول مرة وانشرح قلبها واجتاحها السرور. وبدا لها بمجرد سماعها به أنه قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من التحقيق! وتذكرت تعقيب صاحبها، وكان جوابها: "طظ .. نعم طظ فى لقب الملكة"! إنها مستعدة أن تدوس على أشياء كثيرة وتضحى بحاجات هامة فى سبيل من

تحب! ومع كل هذا البذل أو الروح المطواع التى تسعد الرجل، فلم تكن هذه النوعية من العطاء، هى التى ينتظرها أحمد حسنين ويطمع فيها .. إنه يريد الملكة وليس نازلى. ولذا أسرع بإمساك الخيط وتوجيه الدفة إلى ما يستهدف. ويطلب منها أن تهدئ من غضبها وتلجم ثورتها .. فإذا لم تفعل وأصرت على التنازل عن اللقب بسببه، فإن فاروق لن يبقيه فى مكانه بل يقصيه من وظيفته فى القصر على الفور، وهو أفقر من أن يستطيع العيش على معاشه .. لأن الديون تلتهم أكثره!

وينطلق الرد سريعاً عفوياً طبيعياً، لأنه لم يكن فى حاجة إلى تفكير .. تقول نازلى: أنا مستعدة أن أضع ثروتى كلها تحت أمرك. ومرة أخرى جاءت الثمرة على غير ما يهوى. فلم يكن هدف مغامرنا يوماً جمع المال. ويعتذر، وكان صادقاً تماماً هذه المرة "أنا لا استطيع أن أعيش على حساب زوجتى، وسوف أشعر بمرارة أنك دفعت لى ثمن هذا الزواج". وتثور الملكة فى وجهه بعد أن ضاقت بالعراقيل التى يضعها أمامها، وعجزت عن إرضائه .. لقد التمست كل السبل التى تعرفها لإسعاده. وفى كل مرة يتسبب برفضه غير المفهوم بإخفاقها. فماذا يمكنها أن تصنع أكثر من ذلك .. قدمت ما فى وسعها وأذلت كبرياءها بلا فائدة. فإذا كان لا يقبلها زوجة ولا رفيقة .. فأين يضعها من اهتمامه بل من حبه إذن؟ وتبكى نازلى بكاء مراً لسوء الحظ الذى يلازمها .. إنها كلما اقتربت من السعادة .. تباعدت الثانية عنها. وتنفجر العاشقة

المحاصرة وتهاجمه بعنف، وكما يصور الصحفى الكبيرى محمد التابعى الذى كان قريباً من رئيس الديوان تصرخ فيه:

- أفصح .. ماذا تريدنى أن أكون؟

- ملكة!

- ملكة؟ تريد قلعة؟ جماد؟ حجر؟ لا يا سيدى .. أنا إنسان من دم ولحم. امرأة لها قلب. يفتح الله. إننى أريد أن أعيش وأتمتع بالحياة كما يعيش غيرى من النساء.

- لولا أنى أخاف على سمعتك وسمعة السراى لتركتك تفعلين كما تشائين.

ويشتعل غضبها:

- فى ألف داهية سمعتى وسمعة السراى! ما الذى أخذته من السراى؟ ضياع أهم سنوات عمرى وشبابى.

- ولكن ..

- باختصار .. ماذا انتهيت إليه؟

- إنى أخاف من غضب الله، وأتمنى أن أتزوجك .. و ..

- إذن سأذهب إلى فاروق، وأخبره بالأمر ..

- لا تفعلى .. لأنه سيرفض.

- لماذا؟ سأجعله يقبل.

ولا يتمالك حسنين نفسه وقد احتاح قلبه الفرح، وتخفف من ضغوطه النفسية والديبلوماسية والنفعية أيضاً، أن تنبسط أساريره وتضج ملامحه بالسعادة .. التى ليس مثلها بلورة للفطرة الإنسانية. لقد وصلت خطته إلى منتهاها .. ونجح تكتيكه بالتمام والكمال! وتضاعفت سعادة نازلى!

يفسر مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية الأسبق، الذى تابع بحكم منصبه دقائق العلاقة بين العاشقين الكبيرين، ما وراء خطة أحمد حسنين هذه بقوله: ".. وأنا أعتقد أن سياسته أو هدفه الذى كان يسعى إليه فى آخر الأمر، هو أن يحمل الملك فاروق على أن يرجوه بنفسه أن يتزوج أمه الملكة نازلى زواجاً عرفياً. وعندئذ ينحنى حسنين أمام رغبة "مولانا" ويصدع بالأمر، بحجة أنه يخدم الملك والأسرة المالكة بهذا الزواج! وأما لماذا رفض أن يكون عشيقاً للملكة نازلى، فربما خوفاً من بطش الملك. أو ربما لأنه كان يعرف حق المعرفة، أنه لو رضى أن يكون عشيقاً للملكة لزهدت فيه بعد شهر واحد أو شهرين وتخلصت منه وتركته. ومن هنا رسم لنفسه هذه السياسة .. سياسة التعالى والخوف والبعد عن كل ما يغضب الله! وهكذا يضمن أن يبقى الملكة نازلى ملهوفة عليه والهة، ويضمن بوساطتها نفوذه عند الملك وبقاء السلطة طول حياته فى يده ..".

(٩)

ظلت نازلى حتى بعد أن اعتلى فاروق العرش، وقتاً غير قصير .. وهى ذات تأثير ضخم على ابنها. فهو يحبها ويحترمها ويستشيرها ويخافها أيضاً ويعمل لها ألف حساب. فقد كانت له أكثر من أم .. فهى كذلك الصديقة والزميلة والرفيقة. وذلك بحكم الارتباط اليومى الطويل زهاء سنوات طويلة، فرض عليهما معاً فيها .. عدم الخروج من القصر إلا فى

المناسبات الرسمية. فقد تمثل الملك فؤاد الأسلوب الارستقراطى العتيق، الذى كان سائداً فى العصور الوسطى فى تربية ابنه .. وعدم الاختلاط بأحد لا بأبناء الشعب ولا بأبناء الأسرة الملكية نفسها! لذلك لم يلتحق فاروق لا بمدارس عامة أو خاصة فى القاهرة .. وإنما استقدم له هيئة تدريس لتعليمه. ومنع من أن يكون له أصدقاء فى سنه طوال طفولته وصباه وشبابه، من أبناء الكبراء المصريين أو الأجانب! وهذا كله جعله يقضى شطراً كبيراً من نهاره وليله مع أمه .. مما قوى الرابطة بين الاثنين إلى أقصاها! كما نال فاروق مثل أمه، الكثير من قسوة أبيه عليه. نفس البواعث التى حاصرت نازلى فى القصر، مما أوصل التعاطف المتبادل بين الأم وابنها إلى قمته. وفرض على الملكة أن تعطى ولدها من حبها ربما أكثر مما يجب .. الأمر الذى مكن من ارتباط كل منهما بالآخر تمكيناً.

ولكن الأمر الذى لم تعرفه نازلى و لم تلتفت إليه فى الوقت الأخير، أن الهالة التى يحيطها بها فاروق قد زالت .. وكانت هى المتسببة الأولى عنها. فالابن الذى كان يرى فى أمه المثال والقدوة، فجع بعد وفاة أبيه باندفاعها فى التحرر والابتذال والمغامرات الغرامية. ولأن نازلى لم تخطئ أو تأثم مرة واحدة، بل تكرر واستمرت فى غيها وعرف به القاصى والدانى .. فقد أتى هذا كله على ما كان فاروق يكنه لها من احترام وتقديس، ومن الطريف أن الباعث الآخر الذى شارك فى تحطيم صورة الأم فى نظر الابن .. مخالف تماماً وعلى النقيض

من الأول، وهو انغماس فاروق نفسه في الفساد والانحلال .. ولم يكن كذلك من قبل! فأجواء الاستهتار تفرز سمومها وتعمل على الاستخفاف بالصلات والأحاسيس.

وهكذا عندما ذهبت الأم إلى ابنها تناقشه فى أمر حبها وزواجها من أحمد حسنين، صدمت بمشاعره تجاهها، بل وأكثر من ذلك بسخريته منها! فهو يستنكر غرامها وتفكيرها فى الزواج ثانية. ويلمح متهكماً إلى وضع جلالته من زوج أمه! وعندما اشتدت نازلى فى النقاش، عرض عليها ساخراً - وكان هذا قمة الصدام بين الاثنين وليس عكسه كما هو ظاهر- أن تعاشر رئيس الديوان بلا زواج! فأجابته جادة غير ملتفتة إلى العرض المبتذل الذى لم يكن فاروق زمان يتصور أن يفكر فيه فضلاً أن يقوله .. إن حسنين يرفض أن تكون عشيقته. فيعقب الملك الابن شامتاً هازلاً: سأصدر إليه أمراً ملكياً بذلك!

وعند هذا الحد من الحوار العاصف، تترك الملكة الأم المكان ..

ولم تيأس نازلى .. وتفكر طويلاً بينها وبين نفسها فى حل ينقذها من الحال المتردى الذى يجمد الموقف ويؤذن بإفساد ما توصلت إليه من توفيق فى صلتها بصاحبها. ويهديها التأمل إلى أن فقر أحمد حسنين هو السبب الحقيقى الذى يقعد به عن زواجه بها .. فلو أنه يملك مالا لاستطاع أن يقدم على الاستقالة ويقترن بها، غير ملق بالاً أو اهتماماً بأية وظيفة فى القصر أو فى غير القصر. وتقرر أن تتحرك بغير علم أحمد

حسنين .. تتصل جلالة الملكة الأم بناظر الخاصة الملكية ووكيلها الرسمى، وتطلب منه إعداد المستندات المتصلة بهبة تنقل ملكيتها إلى أحمد حسنين قدرها خمسمائة فدان! ولكن مراد محسن باشا لا يبدى حماساً أو استعداداً للقيام بالأمر، ويحاول أن يثنيها عن عزمها ولكنه يفشل. وإذا كان الإخلاص الوظيفى هو الباعث الظاهر الذى يجعله يحرص على صالح أهل القصر، وخوفاً أن يتهم لدى الملك. فإن الباعث الباطن هوغيرته من أحمد حسنين الذى يعده منافساً خطيراً له. لقد كان حسنين منذ أن التحق بالقصر وهو مثار حسد الحاشية جميعاً كبيرها قبل صغيرها، خاصة وهو لم يدخل عابدين مثلهم كمجرد موظف، بل أيضاً كشخصية عامة ذات نجومية فى المجتمع. ولاشك أن حسدهم تضاعف مرات بعد أن تعرف على نازلى وقويت صلته بها. وكل منهم يتمنى لو تحلى ببعض جرأته أو كان مكانه بطلاً لقصة الحب الخرافية! ومن هنا عندما أتاح القدر لمراد باشا كما تخيل، فرصة إفساد شيء على حسنين وأن يمنع عنه ما يظنه خيراً، أقدم على فعله سعيداً! ويخبر فاروق بما حدث ..

وتثور ثائرة الملك على أمه، ويكون أكثر غضبه موجهاً لا إلى حبها لحسنين، بل إلى ما يعده تبديداً لأملاكها! ولما كان فاروق قد أصبح جشعاً نهماً إلى المال، يريد الحصول عليه بأية طريقة .. فقد وجد فى فعل أمه الأخرق، ما يهدد نصيبه فى ميراثه منها .. بعد عمر قصير أو طويل! ولذلك صرخ فى وجه ناظر الخاصة كأنه هو المسئول: "إن هذه الخمسمائة فدان

تخصنى أنا .. لأنى أنا الذى أرث الملكة"! ومع شديد غضبه .. فلم يناقش المسألة لا مع أمه ولا مع رئيس الديوان. أما بالنسبة إلى نازلى، فقد خاف لو تحدث معها بشأن الهبة .. أن تنفعل وتثور وتنطلق فى عنفها، فتضاعف الهبة وتصر عليها. أما بالنسبة إلى أحمد حسنين، فهو يعرف عدم تكالبه، وأنه لا يد له فى الموضوع. واكتفى فاروق بأن يطلب من ناظر الخاصة أن يتصل بخاله شريف صبرى باشا ليحل القضية مع أخته. وعندما فعل مراد محسن .. بدا واضحاً أن شقيق الملكة لا يرحب بالتدخل. وحار ناظر الخاصة وخاف من غضب الملك إذا لم يصل إلى نتيجة موفقة ترضيه، لولا أن تداركته عناية السماء .. إذا أخبرته الملكة نازلى التى كانت تسرى عن نفسها بما يكربها .. "تفضفض له بدقائق حياتها، إن حسنين عرف بما تدبر، فعنفها. متهماً إياها أنها تعمل على تشويه سعيه فى القصر، وأنها تسعى للانتقام منه .. إذ كيف تتصور أن يقبل منها فدادينها .. وفى نهاية حديثه الغاضب يقول لها: "أنت مجنونة". وتبكى الملكة.

واستقبلت نازلى أياماً حزينة .. لقد ساءها أن ينقلب الخير الذى أرادته شراً. ولم يكفها الألم الذى تعانى منه ويسحق قلبها للفراق الاضطرارى الذى فرضه حسنين .. بل تتعرض أيضاً لغضب حبيبها منها! وبعد أن تهدأ العاشقة المهجورة قليلاً، تعاود التفكير فى وسيلة أخرى تستعيد بها صلة أحمد حسنين. فإذا كانت أداة المال قد فشلت مع رجل لا يعبأ بالمال، فلماذا لا تلجأ إلى وسيلة أخرى تثير الأعصاب وهى

الغيرة! ناسية أو متناسية أنها فشلت من قبل فى استخدامها معه، فهى سلاح مفلول إزاء رجل تعرف جيداً قبل غيرها أنه غير عادى. ولا يهتز بما يعده ألاعيب حواء الصغيرة، بل يسخر منها. ولكن ماذا يمكنها أن تفعل غير ذلك وهى لا تملك إلاها. ولو كانت بمثل تكوينه لوقفت على ما يهزه ويجذبه وجاءته عن طريقه أو مكمن حيطته. وهكذا تعود نازلى إلى أسلوبها المتهتك فى المرح .. تغازل وتشرب وترقص. ولكنها هذه المرة تصطنع و لم تكن صادقة فى إقبالها على المتع. فهدفها إثارة حسنين بالشباب الذين تغازلهم ويغازلونها، خاصة إذا تواجدت معه فى مكان واحد. ولا يعبأ حسنين .. وتتميز نازلى غضباً .. وتبوخ فى نفسها السهرة والصحبة والمغامرة!

وإذ طاش سهم الملكة بالنسبة إلى صاحبها، فقد أصاب إنساناً آخر فى الصميم هو ابنها فاروق! فقد وصلته أخبار غراميات أمه، ولكنه لم يشأ أن يناقشها واكتفى بطريق غير مباشر بالتضييق عليها. وفهمت نازلى الرسالة غير المكتوبة .. ولما كانت هى غير جادة فى مغامراتها هذه المرة، وأصبحت الحياة فى مصر مع ابتعاد حسنين عنها لا تطاق .. فقد اختصرت الطريق وسافرت إلى الخارج!

قذفت نازلى بهمومها وراء ظهرها، قبل أن تركب الباخرة وتذهب إلى أوربا باحثة عن السلوى والنسيان. ولما كانت فى الحقيقة لا تفتش عن الحب، لأن الحب الوحيد والأصيل فى حياتها استولى عليه أحمد حسنين فى قربه وبعده. فهى لا

تدفق غالباً فى اختيار أبطال غرامياتها الطائشة .. فكلهم متساوون! ولكن الوضع يختلف بعد ذلك وهى تهبط مدينة بودابست عاصمة المجر، وتتعرف على هورتى ابن الوصى على عرش المجر .. الذى وجد فيها أنثى شرقية لا عهد له بمثلها وتختلف كثيراً أو قليلاً عن الأوربيات. ولعلها جسدت له الصورة التقليدية للأنثى العربية التى تعبق سحراً وشهوة، كما يتخيلها الإنسان الغربى وتقدمها له قصص ألف ليلة وليلة المترجمة .. بجانب أنها ملكة وأم ملك! وقد سعدت به نازلى عاشقاً. ويبدو أن إعجابها به كان حقيقياً لأنها لم تنتقل إلى غيره كعادتها فحسب .. بل لأنه لحق بها عندما عادت إلى مصر! واستمرت الملكة الأم فى صحبتها لهورتى .. كأن لا فارق بين أن تكون فى بودابست أو فيينا وبين أن تكون فى القاهرة! ولعلها قصدت إلى ذلك قصداً، لتكيد كيداً! وجن جنون .. فاروق!

ويظهر أنه أدرك قلة حيلته إزاء فضيحة أمه، لأنه تطلع إلى "المنقذ" .. الإنسان الوحيد الذى يعرف الملك أنه يستطيع أن يوقف جلالة الملكة عند حدها .. لأنه هو وحده الذى تخشاه وتحبه .. أحمد حسنين! يقول مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية، كما جاء فى كتاب محمد التابعى "من أسرار الساسة والسياسة": "إن جلالة الملك يعتقد أن حسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه. والرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش، وأنه إذا خرج أحمد حسنين من القصر فإن الملكة نازلى سوف تنفجر وتترك هى

أيضاً السراى .. "وتمشى على حل شعرها". وهو كلما يسمع أن الملكة تريد أن ترتكب حماقة صاح: "الحقونى بحسنين"!!". وهكذا يصيح فاروق صرخته المستغيثة "الحقونى بحسنين"! ويصدر إليه أمره الملكى بالتدخل والتصرف، وإنهاء الفضيحة الجديدة. وبالطبع لا يكون ذلك بنصح نازلى، بل بالضغط العاطفى عليها! وتكون مثل هذه اللحظة هى أظهر الأوقات التى يعترف فيها فاروق اعترافاً ضمنياً وليس صريحاً بغرام أمه ورئيس الديوان! وكان الملك يحب أن يتجاهل ذلك كثيراً ليريح دماغه من هذا العشق الذى يسبب له صداعاً مستمراً. ولهذا فهو لا يكاد يفكر فيه، وإذا اضطرته الظروف إلى ذلك مثل حادث هورتى، يضعه عند حد الاعتراف البعيد غير المباشر، فلا يتجاوزه. ظناً أنه بذلك يعطى العاطفة بين العاشقين ما تستحق، أى حجماً ضئيلاً .. لأنها ما تستأهل فى نظره. ومع ذلك لا يخجل ساعة الحاجة أن يستغلها لا فى حل المشاكل فحسب .. بل فى إرسائها على بر الأمان، والعمل على الاستجابة إلى رجاء أمه والموافقة على زواجها بمن تحب!

يقول محمد التابعى: "وصدع حسنين بالأمر .. ونزولاً على إرادة مولانا. ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلى وتصالح معها! وبعد أيام من عقد الصلح أحس الشاب هورتى ابن الوصى على عرش المجر أن بقاءه فى القاهرة أصبح أمراً غير مرغوب فيه من الملكة نازلى نفسها .. ومن سلطات مصر العليا .. فغادر مصر عائداً إلى بلاده"! وبحلول الوئام محل

الخصام ومع عودة المياه إلى مجاريها، عاشت نازلى أياماً سعيدة. وليس مثل الفرح الذى يجىء بعد الترح تأثيراً فى التنفس الإنسانى، وهو يصبح سعادة خالصة تغمر الأعماق وتمس شغاف القلب وتأسر الروح. ويحتفل أصدقاء الملكة ورئيس الديوان طويلاً بهذه المناسبة. ومع استقرار النفس وطمأنينتها يهفو المرء إلى دوام الراحة وعدم الكدر. ولكن ما كل ما يتمنى يدركه وتأتى الرياح بما لا تشتهى السفن. والرياح هذه المرة يسببها للعاشقين آخر من يظنان .. الرجل الثانى فى الدولة بعد الملك، وهو ولى العهد -لم يكن فاروق قد طلق الملكة فريدة بعد، وتزوج ناريمان وأنجب أحمد فؤاد الثانى- الأمير محمد على!

(١٠)

ومحمد على الصغير أو الأمير محمد على هو شقيق الملك فؤاد. وكان الأمير شديد الكراهية لفؤاد، ويتهمه أنه سلب منه الحكم .. لأنه غير نظام وراثة العرش وجعله فى أبنائه وليس للأكبر سناً فى أسرة محمد على كما كان من قبل. ولم يمت البغض فى قلب الأمير بموت فؤاد، لأن مثار اللعنة ظل مستمراً .. وهو ابتعاد المُلك باعتلاء فاروق ابن أخيه العرش! ويجد الأمير محمد على فى علاقة نازلى بأحمد حسنين فرصته للتنديد بأرملة فؤاد وأم فاروق! فيفعل على النطاق الخاص والعام! فهو يشهر فى مجالسه بالانحلال الذى وصلت إليه الأمور فى القصر الملكى، كما يقرر أن يثيرها فضيحة رسمية

أيضاً! فيتصل برئيس الديوان الملكى فى ذلك الوقت على ماهر باشا، مطالباً بطرد أحمد حسنين من القصر! ويستهول على ماهر التدخل فى القضية الشائكة .. فيغض الطرف عنها. ولكن ولى العهد الموتور لا يسكت على ذلك بعد أن تشبعت روحه بالغل والحقد، ووجدها أسنح مناسبة للثأر والانتقام. فيضطر إلى مخاطبة الملك بشأن الشائعات الفاضحة التى تربط بين الملكة وأمينه الأول .. وأثر ذلك على سمعة الأسرة كلها، كأنه هو نفسه لم يكن ملوثاً على الأقل بالنسبة إلى عشيقته الفرنسية التى تعيش معه فى قصره منذ سنوات! ويقاطعه فاروق قائلاً باستخفاف .. إنه سمع أيضاً بهذه الشائعات، وحقق فيها وتأكد أنها غير صحيحة!! ولكن الأمير محمد على يعارض ابن أخيه، لأنه واثق من دقة معلوماته. ولا يلقى الملك بالاً إلى الحديث وبالطبع ينتهى الحوار إلى لا شيء!

وبالرغم من إخفاق ولى العهد فى إثارة الزوبعة التى خطط لها، إلا أنه سعد بتدخله! ويكفى أنه أعلن لفاروق رأيه فى ابتذال أمه. وحمد لنفسه سعيه حتى مع إسدال الستار على مهمته. ولكنه كان واهماً .. فإن قصته لم تنته عند هذا الحد. فنقاشه مع الملك كانت له ذيوله الخطيرة بالنسبة إلى حياته هو نفسه .. التى لم يتصور أبداً أن يتعرض لها. ولو خمن ذلك لفكر مئات المرات قبل أن يقدم ويقول لفاروق ما قال عن نازلى وحسنين! لقد عرف أحمد حسنين سريعاً بأمر اللقاء الذى تم بين ولى العهد والملك وبشأن طرده من القصر. وقرر أن يلقن الأمير الكبير درساً لن ينساه طيلة حياته. ولعل

الأمين الأول ضاق ذرعاً -يتساوى أن يكون ذلك بإرادة منه أو من غير إرادة- كمواطن بالضغوط التى يعانيها الإنسان المصرى فى بلده مهما ارتفع إلى أكبر المناصب وبلغ من الأمجاد، فى ظل نظام غير شعبى. خاصة إذا كان مثل أحمد حسنين ظل طوال حياته وثيق الصلة بمجتمعه الذى خرج منه، وعلى علاقة وطيدة كابن بلد بالشارع المصرى ونبضه فى مختلف المجالات. سواء فى الحياة اليومية أو حتى بمشاكل هواة الفن كما تبدى فى وأثناء رئاسته لجمعية أنصار التمثيل والسينما. ومن هنا جاء انفجاره ضد قيم مجتمع الأسياد الذى ينتمى إليه ظاهرياً، فأراد من خلال ولى العهد أن يعرى أعضاء الأسرة الملكية كلها .. ويفضح جبنهم وعنجهيتهم وكبريائهم الزائفة. بعث ببضع كلمات إلى سمو محمد على باشا، ما كاد الأمير يطالعها حتى غلبه الرعب .. ولم يستطع حراكاً لوقت غير قصير! فلم تكن مجرد ألفاظ .. بل وفعل أيضاً! لقد كتب أحمد حسنين إلى الأمير" "سيدى .. إزاء ما لوثت به سمعتى، فإنى آسف إذ أرانى مضطراً لأن أنسى أنى موظف فى السراى وأنك ولى العهد. ولهذا فإنى أدعوك للمبارزة كما يفعل أى رجل، وأترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك"!

صعق الأمير، فهو يدرك جيداً أن أحمد حسنين يعنى ما يقول! كما أن الأمين الأول كما هو معروف .. شديد البراعة فى اللعب بالسيف وإطلاق الرصاص وإصابة الهدف! أليس هو بطل الشيش القديم؟! ولو كان غير أحمد حسنين باشا هو الذى قال له ذلك، لاستهان به ولم يعبأ. وربما أرسل إليه

البوليس يقبض عليه بتهمة العيب فى ذات ولى العهد! ولكن أحمد حسنين لا يقارن بغيره. فماذا يفعل محمد على إزاء هذه المصيبة التى حطت عليه وجاءته من حيث لا يحتسب! أسرع بالاستغاثة بالأمير عمر طوسون، أقرب الأمراء إلى الشعب! ويتصل الثانى بأحمد حسنين وكان الود متصلاً بينهما، ويحذر أن يحدثه فى أصل الموضوع الذى سبب المشاكل. بل يجيئه من ناحية تبدو شكلية .. وإن كانت تهم حسنين كرجل دولة، وهو الحفاظ على تقاليد البروتوكول. ويتصل بيهما حوار يقول فيه الأمير لصاحبه:

- كيف يجوز للأمين الأول لجلالة الملك، أن يبارز ابن عمه وولى عهده؟!

- صحيح أن ليس لذلك سابقة فى التقاليد. ولكن أيضاً لم يسبق لولى عهد أى بلد أن قال كلاماً كاذباً فى حق رجل آخر دون أن يتحمل مسئوليته!

- ...

- على أية حال، حتى لا أسبب حرجاً. فقد قدمت استقالة مسببة لجلالة الملك.

- مسببة؟

- نعم. وقلت فيها بالحرف: "لما كان ولى عهدكم قد أهاننى ولما كنت لا أقبل هذه الإهانة. فإننى أقدم إلى جلالتكم استقالتى من منصبى .. لكى استطيع أن أعامل الأمير محمد على معاملة رجل حر لرجل حر.

- ولكن ولى العهد يرفض المبارزة.

- "فى هذه الحالة سوف أنتهز فرصة وجوده فى نادى محمد على وألطمه على وجهه وأعتبر الحادث منتهياً!!"

وقع ما حسب الأمير عمر طوسون حسابه! فقد خشى منذ البداية أن تتطور الأمور إلى هذه الدرجة .. ما دام ولى العهد الجبان يفزع من تعريض نفسه للمبارزة .. التى هى إما قاتل أو مقتول. ومع واحد مثل أحمد حسنين فهى معروفة النتيجة سلفاً! و لم يجد عمر طوسون بداً من الاتصال بالملك فاروق، راجياً إياه أن يتوسط فى الأمر .. خاصة أن ولى العهد فى حالة من الهلع لا توصف. ولكن فاروق الذى سعد باللعبة من أولها، وشكر لحسنين صنيعه مع غريمه محمد على .. اعتذر لعمر طوسون عن التدخل. فقد قدم الأمين الأول استقالته من السراى ليثأر لشرفه .. و لم يعد يستطيع أن يفرض عليه أمراً.

وما يكاد طوسون يبلغ ولى العهد بتطورات القضية، حتى يبلغ به فزعه أقصاه. و لم يبق فى قصره لحظة واحدة، بعد لم يعد لأى اعتبار قيمة. فالعمر ليس "بعزقة" وحياته معرضة لخطر شديد لم يسبق لها أن تمثلته. وإبعاد هذا الخطر يستحق كل تضحية. ويسرع الأمير محمد على إلى منزل أحمد حسنين .. مقدما اعتذاره! ويتمهل الثانى فى قبول الاعتذار، كأنه يشوى الضحية الكبيرة على نار هادئة .. بالغاً منها آخر قطرة، كما كان يفعل بما يصطاد فى الصحراء! ويجيبه إلى عرضه المتوسل، ولكن اعتذاره إليه وحده لا يكفى. بل لابد أن يقدم اعتذاره أيضاً إلى الملكة نازلى. ولما كان محمد على مستعداً لفعل أى شىء، يبعد عنه شبح الموت .. أى شبح

المبارزة. فلم يتردد فى الإيجاب .. وأسرع إلى قصر القبة وكانت ساكنته قد بلغها الخبر تليفونياً على الفور من حبيبها. ويقدم الأمير الاعتذار، راجياً أن تسمح الملكة بمقابلته. ولكن نازلى لا تسمح! ويخاف ولى العهد أن يؤثر ذلك فى أحمد حسنين، فيعود إليه سائلاً إياه أن يتوسط لدى نازلى لكى توافق على استقباله وتقبل شخصياً اعتذاره. ولكن الملكة ترفض ثانية! لقد أرادت هى الأخرى أن تؤدبه وتذله وتفضح جبنه. وبعد أيام قليلة يلتقى محمد على عند الأميرة نعمت مختار بنازلى، فيبادر بالاعتذار .. منحنياً متوسلاً. وتزيد الملكة فى النكاية به وهى تقول له: إن حسنين باشا ليس عشيقى كما تقول. لا لأننى لا أريد أن أكون عشيقة له، بل لأنه هو الذى يرفض أن يكون عشيقاً لى!

ويعقب محمد التابعى على هذا الحدث بالنسبة إلى الأمير ولى العهد بقوله: "وكان من نتائج هذا الدرس الذى أعطاه إياه حسنين باشا أن مكث الأمير محمد على ستة أشهر لا يفتح فمه بكلمة واحدة عن السراى وما يجرى فى السراى .. بل عن أى شخص كبير أو صغير فى السراى! وكذلك كان - رحمه الله- كلما سمع حكاية أو كلمة تروى أو تقال فى نادى محمد على عن حسنين باشا أسرع يبلغه إياها وكيف أن الوزير فلان يقول عنك -أى عن حسنين- كذا وكذا، وكيف أن النبيل علان يقول كيت وكيت!"!

وتنفجر فضيحة ولى العهد بسرعة الصاروخ فى المجتمع الارستقراطى وتتناثر شظاياها، كما لم تقع لأية فضيحة أخرى

من قبل! فهى تجمع بين أكبر أربعة أسماء فى البلاد، الملك والملكة الأم وولى العهد والأمين الأول لجلالة الملك. وإذا كان الأمير محمد على لجبنه وخوفه على حياته، حصر القضية فى مجال شخصى بحت .. فإن مجتمع الأسرة المالكة ومن يسايرها من الطبقة الغنية والإقطاعية، كانت على عكس ذلك. تعدها قضية عامة ذات دلالات خطيرة .. تمسها بشكل قوى وغير محترم. فلعلها المرة الأولى التى يمتهن فيها مصرى فلاح صميم، الطبقة الحاكمة وسادته الأفاضل، بهذا الشكل المزرى. وغضب مجتمع الأمراء والنبلاء، وتغلى الدماء فى عروقهم الباردة .. إذ كيف يجرؤ مصرى مهما بلغ مركزه، أن يساوى رأسه برأس أمير وولى العهد مهما أخطأ فى حقه ويطلبه للمبارزة! ولكنهم اكتفوا من ثورتهم بالتنديد بأحمد حسنين، وتبليغ غضبهم إلى جلالة الملك. ولكن فاروق لا يذكر لحسنين شيئا، وإنما يقول له فى حديث عابر: ألا تعرف يا حسنين أن القانون يحمى ولى العهد وأن ذاته مصونة لا تمس؟ ويجيب الأمين الأول على الفور: أعرف هذا يا مولانا .. ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس، فإنه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمه، وأن أعامله كأى فرد مساو لى فى الحقوق! ولم ينطق فاروق أو يرد هذه المرة على أستاذه!

(١١)

هل قنع أحمد حسنين بما بلغ من تأثير على نازلى، وطرد فكرة الزواج منها التى لم تتح له بعد أن عمل جهده فى سبيلها؟ أبداً! فهو لم يخالجه الشك لحظة فى عدم إمكانها أو استحالتها .. وما أكثر قصص التاريخ التى من هذا النوع! وإنما وجد أن الطرف الذى يمثله فاروق، لم يكن مهيأ بعد لها. وأخذ بطلنا ينتظر على مهل تغير الظروف .. عاملاً من ناحية أخرى على متابعة الملكة الأم بدقة شديدة فى قربه منها أو بعده عنها .. حتى لا تخرج عن المجال الذى رسمه لها. ولما كان يعرف جيداً تكوينها وحبها للتغيير، فهو يخشى من فتور العلاقة حتى بفعل الزمن. ولذلك كان يغذى هذا الجانب هو أيضاً كما كانت تصنع نازلى، بإثارة عواطف الغيرة عندها بين الحين والحين فتعنف الأحاسيس الهادئة. وكأن فى مجال الحب أو الجنس لا مكان إلا للغرائز وحدها، ولا سبيل للاستحواذ على الطرف الآخر إلا بالتدنى إلى أسفل وليس بالارتقاء إلى أعلى. يتساوى فى ذلك المثقف وغير المثقف، الرفيع أو الوضيع .. ما دامت العلاقة بين الجنسين عند هذا الصنف قد تحولت إلى شىء نفعى سواء استهدف اللذة أو السلطة. وهكذا عمل حسنين على اتخاذ أصحابه من أهل الفن وقوداً لنيران الغيرة!

ولم يكن الحس الجمالى وحده عند أحمد حسنين أو تذوقه لألوان الإبداع المختلفة، هو دافعه إلى مجتمع الفنانين. بل كان

لعمله أيضاً فى القصر الملكى صلة قوية بهذا الجانب. فقصر عابدين يشمل على مسرح فاخر، يقدم لأهله ومجتمع الأمراء والنبلاء بعض العروض المسرحية والغنائية أحياناً. واستضاف عدداً غير قليل من كبار الفنانين، مثل أم كلثوم ويوسف وهبى ونجيب الريحانى. وكان أحمد حسنين هو الذى يتابع الإعداد لهذه العروض. ويضيف شكرى راغب فى "الباب الخلفى" متحدثاً عن إشراف حسنين على الجمعية الفنية العتيدة "جمعية أنصار التمثيل والسينما": "كان أحمد حسنين باشا يشاهد جميع تدريبات مسرحية جمعية أنصار التمثيل والسينما"، باعتباره رئيسها. وكان يدخل من الباب الخلفى ليحضر بروفات الفرقة، ويطلع على كل صغيرة وكبيرة من شئون الدار". ولذا كان حسنين على صلة قوية بالمجتمع الفنى وله مع كثير من الفنانين والفنانات صداقات وثيقة، يتجاوز بعضها العلاقات العامة إلى العلاقات الخاصة والأشد خصوصية. ولعل أشهرها كانت مع صاحبة الصوت الماسى التى اشتهرت فى هذه الفترة وهى المطربة الفاتنة أسمهان!

عندما رجعت المغنية الشامية إلى القاهرة ثانية سنة ١٩٤٠ بعد طلاقها من زوجها الأمير حسن الأطرش .. تعرف عليها أحمد حسنين. وكان الأمين الأول لجلالة الملك شديد الإعجاب بصوتها وصاحبته على السواء، وإن كان ينكر الشق الثانى من الإعجاب! ولما كانت أسمهان تقيم فى فندق ميناهاوس فى ذلك الوقت، فقد أكثر حسنين وهو الحذر الكتوم من التردد على الفندق بشكل مكشوف. وقد دهش

كثيرون لعدم حيطته بالمطربة الكبيرة الحسناء، التى تقوم المنافسة على أشدها بينها وبين أم كلثوم. وفسر عدم الحذر بأشياء بعيدة عن الواقع، وإن كان يعنى لمن يعرف طبيعته أنه يريد أن يعلن لا أن يخفى نبأ هذه العلاقة! ويسرى الخبر كالرعد والبرق ويصل إلى القصر الملكى .. وهو ما استهدف حسنين!

ومن الطريف أن أول رد فعل يصله، يجىء عن طريق أبعد إنسان ينتظر أن يكون .. وهو جلالة الملك نفسه! ويفعل فاروق ذلك بأسلوب ابن البلد المصرى الصميم من خلال مداعبة رقيقة! كان حسنين جالساً إلى مكتبه بقصر عابدين مساء، عندما انطلق صوت أسمهان يشذو بإحدى أغنياتها المعروفة! وظن حسنين كما يقول .. "إن أحد أجهزة الراديو العديدة فى السراى هو مصدر الصوت وأنه ينقله من محطة الإذاعة. وانتهت الأغنية .. وأعقبتها أغنية أخرى لأسمهان .. ثم أغنية ثالثة .. عجبت وقلت ترى هل تذيع محطة الإذاعة هذه الليلة برنامجاً خاصاً عن أسمهان؟! ولكن عندما انطلق صوت أسمهان بأغنية رابعة وخامسة شككت فى الأمر. وقمت من أمام المكتب ومشيت إلى النافذة وأطللت منها فرأيت جلالة الملك واقفاً وأمامه على مائدة صغيرة جهاز فونغراف وإلى جانبه أحد خدم القصر يحمل بضع اسطوانات. ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقه ضاحكاً وصاح: مبسوط يا حسنين؟!" ويتأكد أحمد حسنين تماماً أن خبر علاقته بأسمهان قد وصل إلى نازلى!

يقول محمد التابعي: "كان يتعمد إثارة غيرة الملكة نازلى .. حرياً على سياسته معها وهى إثارتها وإثارة غيرتها ووجدها والتياعها إليه من وقت إلى آخر، وإلا فإن نار الشوق التى فى صدرها لا تلبث أن تهدأ ثم تبرد وتجمد وتموت! .. ولم يكن موت هذه النار من برنامج سياسته!". وعند هذا الحد بدأ أحمد حسنين يقلل من زيارته لأسمهان وزيارتها له! فقد الإعلان على المكشوف دوره .. وبقى لهما الجانب الخاص من الصلة الذى يجرى فى المكتوم!

وتمضى الأيام .. وقصة الحب ببطليها نازلى وحسنين تسير في مجراها التقليدى الذى اطمأن إليه كل منهما مؤقتاً .. حتى يأذن الله بالزواج. وفى هذه الأثناء كان أحمد حسنين قد أصبح رئيس الديوان الملكى، ويحدث أن يرفع من جرعة لهوه مع أهل الفن من مغنيات وراقصات، وكانت أسمهان قد عادت إلى جبل الدروز وتزوجت ثانية من الأمير حسن الأطرش. وتغضب نازلى لما عدته استخفاف حسنين بكرامتها، وهو يتدنى فى علاقاته النسائية كما استشعرت. وضاق بها الحال حتى لم تعد تطيق البقاء فى مصر. ولما لم تستطع السفر إلى أوربا بسبب الحرب العالمية الثانية القائمة، وكان ذلك فى عام ١٩٤٢، فقد سافرت إلى فلسطين - وكانت تحت الانتداب البريطانى وقتذاك- وأقامت بأكبر فنادقها .. وهو فندق الملك داود. وكعادتها فى أحزانها، التمست العزاء فى السهر والشراب وصحبة الشباب .. واندفعت إليها بطيش ونزق، بلا حساب أو اعتبار لأى شىء.

فهى تريد أن تنسى، ولا وسيلة لديها إلا أن تغرق نفسها فى المتعة الحسية. ولما كانت فلسطين فى ذلك الحين ملأى بالضباط الإنجليز بحكم الانتداب والوقت حرب، فقد كانوا منتشرين فى كل مكان وفى فندق الملك داود أيضاً. وتلتقى بهم نازلى فى أغلب الليالى وتصادق البعض منهم. وتنتشر فضائحها وتصل إلى القاهرة. ويغضب فاروق، وكالعادة يستنجد بحسنين، ويطلب منه السفر إلى القدس وإحضار أمه.

ولأول مرة يعتذر أحمد حسنين! ويفاجأ الملك! ويظن فى البداية أن أستاذه القديم يداعبه، ولم يكن هذا صحيحاً .. فقد كان جاداً كل الجد. وكان اعتذار الأول منطقياً تماماً! لا لأن رئيس الديوان الملكى سئم جلالة الملكة الأم وسره أن تبتعد عنه .. فذلك لم يحدث .. لأن طموحه لم يتحقق بعد! بل لأن زيارته للقدس يمكن أن تفسد عليه خطته كلها. والسبب أن أسمهان تتردد على القدس وعلى فندق الملك داود. ومعنى ذلك أن فرصة أن يلتقى بها واردة وممكنة، وبمجرد أن تراهما نازلى معاً، وهى غاضبة منه أصلاً، فهذا إيذان باندلاع نارها! بجانب أن أسمهان نفسها تفلت أعصابها بسرعة خاصة إذا شربت، وتصبح إنسانة أخرى لا تقيم وزناً لأية اعتبارات. وفى هذه اللحظات يمكن أن تهاجم نازلى بضراوة لا تخشى شيئاً. وبالذات وهى لا تنسى لحظة مع اشتغالها بالغناء، أنها أميرة ابنة أمير! فإذا كانت نازلى ملكة فهى أميرة .. ولا فارق!

وبمجرد أن أعلن حسنين اعتذاره، غلبت الدهشة فاروق! لا لأن رئيس الديوان الملكى لا يصدع بأمره على الفور، بل لأن حسنين يتجاهل الإسراع إلى نازلى مع العلاقة القائمة بينهما والتى يعرف ابنها أمورها! ويبدو أن حسنين كان قد أعد نفسه لهذا اللقاء ورتب كل دقائقه من قبل. بحيث يسرع بالخروج من المأزق فى الحال. بتقديم البديل والحجة المناسبة! وبالفعل رضى فاروق وارتاح للحل! فقد أسبغ رئيس الديوان الملكى على الوفادة للملكة حجماً أكبر لا يليق معها أن يقوم بها أحمد حسنين .. بل شخصية أرفع مقاماً ومنزلة. ولذلك ما يكاد يقترح الاسم العظيم على الملك حتى يوافق مرحباً .. إذ كان الزعيم مصطفى النحاس باشا ورئيس الوزراء فى ذلك الوقت!

وبالطبع لم يعرف رئيس الحكومة البواعث الحقيقية لاختياره لهذه المهمة التى رحب بها. فالرجل الطيب الذى يؤمن بمكارم الأخلاق، سره أن يصلح بين الابن وأمه، وأن يوقف مسلسل الفضائح الذى تقوم نازلى ببطولته. كما أن هناك عاملاً ثالثاً وضعه فى الاعتبار، وهو وفدية والد الملكة عبد الرحيم صبرى باشا الذى كان من أقرب الناس إلى سعد زغلول. وباعث آخر لا يقل أهمية إن لم يزد يتصل بالجانب العام فى نازلى، كملكة وزوجة ملك وأم ملك .. والذى لا يقل قوة عن حياتها الخاصة، وهى آراؤها فى القضايا السياسية والتى كانت لها أهميتها عند ولدها خاصة فى السنوات الأولى لحكمه -والتى لم تعرض لها هذه الصفحات

التى انشغلت بناحية أخرى تناسب المقام!- لقد كانت نازلى تشكل فى القصر الملكى الموقف الذى يرى فى إنشاء صلة قوية بحزب الوفد الشعبى ورئيسه النحاس .. تدعيماً لحكم فاروق وليس العكس.

ويسافر النحاس إلى القدس ومعه قرينته، وينجح فى مسعاه ويعودون جميعاً إلى القاهرة .. بعد الاستجابة إلى مطلب نازلى الوحيد، الذى أصرت عليه ورضخ له فاروق هذه المرة. كانت قد أدركت ما سببه سلوكها من إزعاج لابنها، وأنها فى وضع أقوى وإلا لما اهتم بما تفعل إلى هذه الدرجة .. تملك معه أن تفرض شروطها .. وتمارس ضغوطها .. وتفلح! ولما كان لا مأرب لها فى الحياة سوى أن تتزوج من أحمد حسنين، فقد طالبت به. وكان فاروق قد توصل بينه وبين نفسه منذ وقت طويل بحتمية هذا الزواج. على الأقل ليقطع خط الرجعة على فضائح أمه. وهكذا رضخ لطلبها بشرط، وافقت عليه نازلى على الفور .. خوفاً من أن يتراجع ثانية، وإن كانت تفضل ألا يكون .. وهو أن يكون الزواج .. عرفياً!!

وقد كان! ويقوم بتوثيق العقد الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر. أما شاهدا العقد، فهما أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا والوزير الأسبق جعفر والى باشا.

أخيراً تحقق الحلم المستحيل وتجسدت الأمنية العذبة الصعبة التى بدت لوقت طويل كأن لا سبيل إلى تحقيقها أبداً. وارتاحت تماماً أعصاب كل من بطلى الرواية من عقدة حياته،

التى كانت بالفعل بالنسبة إليه لأهميتها البالغة لحضاره ومستقبله .. مسألة حياة أو موت. وأخذ كل منهما يتهيأ لأيامة الجديدة ويضع لها الخطط، ليمتص من رحيق السعادة أكثر ما يمكن أن يعبه منها. ولاشك أن نازلى بحكم أملها المحدد الذى كان الوسيلة والهدف معاً، كانت أكثر سعادة من صاحبها .. بينما اختلف الأمر عند رئيس الديوان الملكى. إذ كان الزواج يعنى لديه بداية المطاف وليست خاتمته، يعنى الشكل وربما مجرد الشكل وليس المضمون الذى خصصه كله لطموحه. ومن هنا كانت الملكة وليس هو .. الصادقة. المخلصة. الوفية .. فى وللزواج. ولا تلبث هذه الحقيقة أن تعبر عن نفسها بعد قليل، وتكشف عن المعادن.

كانت الأميرة آمال الأطرش المشهورة بأسمهان، قد طلقت من زوجها وابن عمها الأمير حسن الأطرش محافظ جبل الدروز، بسعى كبير وطويل منها .. تعيش فى ذلك الوقت فى القدس بلا مال .. خائفة من زوجها السابق. وتريد أن تعود إلى القاهرة ولكنها ممنوعة من دخول مصر لسبب أمنى، وتحاول المستحيل لترجع إلى وطنها الثانى. وكان الحل الذى التمسته لإنقاذها هو الزواج من مصرى .. ولكن أين هو المصرى المناسب لها وهى فى فلسطين؟! فى ذلك الحين جاء إلى القدس أحمد سالم وتحية كاريوكا اللذان كانا يعيشان فى قصة حب .. والتقيا بأسمهان. ثم غابت تحية بضعة أيام فى حلب وعادت لتجد صاحبها قد تزوج بأسمهان! ويرجع الجميع إلى القاهرة. وكانت المطربة المشهورة قد تعاقدت

وهى فى القدس على تمثيل فيلم "غـرام وانتقـام" أمـام يوسـف وهبى. ولا تكاد تمضى عدة أيام حتى تدرك أسمهان أن البـون شاسع بين طبيعتها وطبيعـة أحمـد سـالم. وتزيـد الهوة بينهمـا اتساعا عندما علمت أن السبب الرئيسى لدخولهـا مصـر .. لم يكن للزواج من مصرى .. بل لأسباب إنسانية!

وكانت أسمهان قد رجعـت إلى علاقتهـا بـأحمد حسنين .. ويقف الزوج الحمش الغيور على زياراتها لمنزل رئيس الديـوان الملكى، فيعمد إلى الانتحار مرتين وينقذ! وفـى إحـدى الليـالى يغلى مرجل الغضب فى نفس أحمد سالم بسبب هـذه العلاقـة، ولكنه هذه المرة لا يصوب مسدسه إلى رأسه، بـل إلى أسمهـان .. التى تسرع هاربة من الغرفة فلا تصيبها طلقات الرصـاص! وتلجأ أسمهان إلى إحدى الجارات تتصـل مـن عندهـا تليفونيـاً بحكمدار بوليس القاهرة اللـواء سـليم زكـى باشـا، وهـو مـن أصدقاء الأسـرة .. طالبـة الحمايـة. فيبعـث بالأميرالاى إمـام إبراهيم ليقبض على أحمد سـالم، ولا يكـاد يقـترب منـه حتـى يطلق الممثل المشهور الرصاص عليه فيصيبـه فـى يـده! ويبادلـه رجل البوليس إطلاق الرصاص فيصيبه فى رئته!

وبالرغم من أن الصحف وافت القـراء بتفـاصيل مثـيرة عـن الحادث وقتاً طويلاً .. إلا أنها لم تشر إلى أحمد حسـنين أدنـى إشارة، لأن السلطات كتمـت ذلـك. وبـالطبع عـرف فـاروق وعرفت نازلى. وقامت قيامة الزوجة وبعثت غيرتها ثانية من

أسمهان. ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، لأن أسمهان بعد أشهر قليلة غرقت بسيارتها فى ترعة قرب مدينة المنصورة!

(١٢)

وتمضى الأيام فى مدها وجزرها بالزوجين أحمد حسنين ونازلى، ولا يلبث القدر أن يلعب لعبته على غير هوى البشر بالطبع، سواء رضوا أم أبوا. ويختار يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٤٦ .. إذ تصدم سيارة لورى انجليزية سيارة رئيس الديوان الملكى فوق كوبرى قصر النيل .. ويموت أحمد حسنين.

ولا يكاد الخبر يصل القصر، حتى يهرع الملك فاروق مسرعاً وهو بملابس المنزل .. مرتدياً بيجاما وفوقها روب دى شامبر ومنتعلاً شبشبا .. إلى منزل أحمد حسنين، وفكرة واحدة غير إنسانية تسوقه .. ناسياً متناسياً بغلظة كل ما فعله أستاذه ورائده فى سبيله، الإنسان الذى كان يعده فاروق القديم صديقه الذى يتحمل عيوبه، والذى وقف معه وبجانبه سنوات طوال يبصره بسياسة الحكم. ويخفف عنه لا بحكم منصبه، بل بحكم العاطفة القوية المخلصة التى تربطه به. ذهب هذا كله وبقيت الحيوانية والشراسة وسوء الخلق تتنمر، بلا أى اعتبار لوجود الموت. يقول مصطفى أمين: "وعندما تلقى الملك فاروق نبأ وفاة حسنين أسرع واستقل سيارته إلى بيت أحمد حسنين فى ميدان عبد المنعم بالدقى ودخل غرفة نوم حسنين حيث كان مسجى على الفراش ومغطى بملاءة بيضاء. واتجه الملك إلى خزانة حسنين وفتحها وأخذ عقد

زواج أمه وحسنين ودسه في جيبه. وخرج من بيت حسنين بخطوات مسرعة"!

قبل أهل أحمد حسنين وأصدقائه الخلص كانت نازلي هي الأكثر حزناً وألماً .. فصدمتها بالحادث أضعاف مضاعفة. لقد شعرت العاشقة أن نازلي ماتت مع حسنين، وأنها لم تعد المرأة التي كانت. وبكت الليالي الطويلة بحرقة الغائب الذي لن يعود. يكتب محمد التابعي .. "بعد وفاة حسنين بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ذهب فاروق يزور أمه نازلي في قصرها الذي ورثته عن أبيها في الدقي. ودخل عليها في قاعة القصر الكبرى .. وتسمرت قدماه عند الباب. فقد رأى أمامه في صدر القاعة صورة لأحمد محمد حسنين بالحجم الطبيعي وقد جللت بالسواد. وأمام الصورة -وعلى الأرض- جلست أمه الملكة نازلي وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر وجميعهن متشحات بالسواد. وعلى جانبي القاعة الكبرى جلس نحو عشرين شيخاً يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم. توقف فاروق لحظة عن باب القاعة .. وقد عقدت الدهشة لسانه. ثم مشى إلى حيث كانت تجلس أمه وقال لها وهو يشير إلى الصورة وإلى السيدات والمشايخ: إيه ده كله؟ وعلشان إيه ده كله .. مات .. خلاص .. مات .. فلزومه ده إيه؟ وانتفضت نازلي واقفة على قدميها وانفجرت في ابنها تصيح: ده اللي عملك راجل .. ده اللي حافظ لك على عرشك .. بكره راح تشوف يجرى لك إيه؟ .. بعد موت حسنين". وهز فاروق كتفيه ساخراً وانصرف."

وبعد أسابيع قليلة كلها أسى وألم وعذاب .. تغـادر نـازلى مصر إلى أوربا هى وبناتها إلى الأبد إذ لم تسـتطع العاشـقة أن تبقى فى بلد يذكرها كل ما فيه بالحبيب الذى غاب.

نساء فى حياة نجيب الريحانى

العبقرية الأصيلة، يظل مكانها شاغراً .. بالرغم من مرور أجيال. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفنان الكوميدى .. نجيب الريحانى. الذى يقول عنه الأديب العظيم عباس محمود العقاد: "هو الممثل الذى يغنيك تمثيله أحياناً عن موضوع التمثيل. وهذه هى طبيعة الأداء فى الفن الجميل .. كان يمثل صامتاً كما يمثل ناطقاً، وهى مزية نادرة فى مسرحنا الناشئ، حيث يمثل الفنان ما يمليه عليه الكلام، ويعجز عن التمثيل حين لا ينطق بكلمات توحى إليه الملامح والحركات".

وحياة هذا الرائد المسرحى الكبير، لا تقل إثارة عما كان يقدم على مسرحه. وعلاقته بالمرأة، هى أكثر جوانب عمره إثارة!

(١)

يلاحظ فى الدراسات والكتب، التى ألفت عن نجيب الريحانى .. أن الحديث عن والدته الست لطيفة، أكثر توثيقاً وتوكيداً، من الحديث عن أبيه إلياس الريحانى! ولم ينجم هذا الموقف بالطبع، عن تعصب .. من الذين أرخوا سيرة زعيم الكوميديا العربية، أو تناولوا فنه. بل عن عدة عوامل أخرى، لعل أهمها .. أن الأم عاشت طويلاً. وبلغت من العمر حداً،

أتاح لها الاستمتاع بشهرة ابنها طويلاً. بينما مات زوجها، وابنه الثانى نجيب، لا يزال صبياً .. فى السادسة عشر من عمره .. تلميذاً فى مدرسة الفرير الفرنسية.

والعامل الثانى، أن بعض الذين كتبوا عن الريحانى من أصدقائه. ساءه أن يشير إلى فقر أسرته. ظناً أن ذلك يشوه من صورة الفنان الكبير، عند معجبيه الكثيرين! وهو نفس ما حدث بالنسبة إلى عبد الحليم حافظ، الذى لم ينشر عنه أبداً فى حياته .. أنه تربى فى ملجأ. ولم يعلن ذلك وتعرفه الجماهير، إلا بعد وفاته! كما ساهمت الإثارة الصحفية، فى عدم التأكد من حقائق تاريخ الشخصية الفنية. ومن هنا اختلف الكتاب مثلاً فى عمل الأب، البعض يجعله تاجراً للخيول! والبعض الآخر، يشير إليه كصاحب مصنع جبس!

ونجيب الريحانى من أب عراقى وأم مصرية. وهو الابن الثانى بين أخوة أربعة. عرف فى طفولته وصباه بالهدوء والجد وقلة الابتسام. وهو عكس ما اشتهر به فى رجولته ونضجه! ومع أن المجتمع والوالدين وأساليب التربية المتوارثة، تندد "بعفرتة" الأطفال. إلا أن الواقع الحقيقى، ليس كذلك! والسبب أن "شيطنة" الصغار، تحمل الاعتراف بأنهم على الأقل أصحاء .. وربما فى تمام صحتهم وزيادة! ومن هنا تجىء عدم الراحة، التى تثقل نظرة الأبوين، فى هذه الحالة، إلى طفلهما الهادئ الصامت! وفزعهما الصريح! والضمنى، من أن يكون الابن مصاباً بمرض ما! يمنعه من مسايرة أقرانه فى لهوهم! وهكذا كان التكوين الساكن لنجيب الريحانى فى

طفولته، باعثاً على خوف أبويه. ومع أن هذا الخوف استمر طويلاً، طوال فترتى الطفولة والصبا .. إلا أن واقع أمر نجيب لم يكن كذلك. خاصة عندما بدأت تباشيره الفنية، تظهر لدى الصبى فى مرحلة دراسته المتوسطة. وهوايته الفنية والأدبية تتضح .. وهو ينضم إلى جمعية التمثيل والخطابة. ويصبح إنساناً آخر، يكاد لا يكون له صلة بالصبى، الهادئ الخجول قليل الكلام!

لقد ظهرت الأعماق الحقيقية للصبى، فإذا به أكثر "عفرتة" من الآخرين! وإن كان فى مجال آخر. فما يستهوى أقرانه، من أشياء تقليدية مثل لعبة كرة القدم .. لا تغره. لأن ما يسحره هو هواية، كانت تقابل لدى الكثيرين فى الحياة العامة، بنوع من الاحتقار والسخرية. فالممثل أيامها .. أو المشخصاتى كما كان يطلق عليه .. شخص مثل الحاوى أو لاعب الثلاث ورقات، فى أدنى طبقات المجتمع غير المحترمة!

ويخفف الغصة شيئان؛ الأول أن اهتمام الفتى بالتمثيل، هو مجرد هواية. يمكن أن تكون مؤقتة، تلغيها فى المستقبل .. المعاناة فى الحياة العملية. والثانى، أن الدراسة الابتدائية .. تحترم التمثيل، وتشجع تلاميذها عليه. وهذا اعتراف صريح، بأن "غلطة" نجيب .. ليست بالفظاعة التى يتخيل كل من الأب والأم.

كانت الست لطيفة، والدة نجيب الريحانى .. كأية أم على ظهر الأرض .. شديدة الحدب على أبنائها والحب لهم.

تتميز بما تتصف به الأم العربية عامة والمصرية خاصة، بالحنان غامر وربما الزائد عن الحد. كأنه رد فعل لتزمت أسلوب لتربية زمان. الذى يجعل الأب هو الحاكم بأمره، لا يعارض لا يناقش .. وكلمته هى القول الفصل! وإذا كانت الست لطيفة، تضطر إلى أن تزيد من جرعات خدماتها وعطفها، لابن مريض مثل يوسف .. ولد محدودب الظهر. فهى تفعل المثل لابن آخر، يبدو أغلب الوقت هائماً حالماً ساكناً .. هو نجيب يكثر من القراءة وأحلام اليقظة!

وعلى غير انتظار، يقع حادث يزلزل الحياة فى أسرة الريحانى. وهو وفاة رب العائلة نفسه. ووفاة الأب فى الأسرة المصرية المتوسطة، الذى يترك زوجة لا تعمل. وغير متعلمة بالطبع، كما يقضى تأخر ذلك الزمان فى بلادنا. ولا خبرة لها بغير شئون البيت. وعدد من الأطفال .. هى بمثابة كارثة، تعرض الأسرة للانهيار. إلا إذا سرت روح التضحية والتماسك. ومن حسن الحظ أن أتيح لأسرة الريحانى، بفضل الأم ذلك. فقد أسرع الابن الأكبر، إلى الالتحاق بعمل. وبالرغم من أن المرتب كان قليلاً، إلا أن الست لطيفة .. استطاعت أن تسيّر به مركبها وسط الأنواء.

كانت أحلام نجيب الريحانى فى صباه كبيرة. ترتبط باللمعان فى سماء الأدب والفن. يتمثل خياله المجد العظيم والاسم المتألق والشهرة الواسعة والغنى الواسع .. كما أصاب أغلب من يحبهم من حملة الأقلام العرب والأجانب، مثل المتنبى وأبو العلاء المعرى وفيكتور هيجو ولافونتين وموليير.

ولكنه أدرك أن موت والده، قضى على معظم هـذه الأحـلام. وأن الأمل وسط ضيق العيش، فـى الدراسـة العاليـة التـى أعـد نفسه لها، حالماً يحصـل علـى الباكالوريـا (الثانويـة العامـة) .. أصبح بعيد المنال. فإن عليه واجباً مقدساً، لا يمكـن التخفـف منه. وهو أن يساعد شقيقه في الإنفاق على الأسرة.

ولقـد كـانت الأم هـى الأخـرى، تتمنـى أن يلتحـق نجيـب بالجامعـة .. أو المـدارس العليـا كمـا كـانت تسـمى وقتهـا .. ويزدهيها أن يفعل. ولكن العـين بصـيرة واليـد قصـيرة. ولمـا كانت الست لطيفة، تضطر أن تقتصـد عـادة فـى حديثهـا إلى فتاها الفنان .. الذى يزن الكلمات بميزان غير عادى. فهى لم تحاول أن تخدعه بشأن غـده .. و"تفـرش لـه الأرض طحينـة". فالمعاناة التى لا تزال الأسرة تقاسـيها، تفـرض علـى نجيـب أن يلتحق بعمل هو الآخر. لأن الاعتمـاد علـى مـورد واحـد، لا يكفى المطالب.

ولعل الأم كانت فى قرارة نفسها مرتاحة، لاضطرار نجيـب أن يعرق فى وقت مبكر. لأن هذا العرق سيشغله تمامـاً، عـن التفكير فى هوايته الفنية. ولكن الست لطيفـة كـانت واهمـة تماماً! فلقد سرى المسرح فى عروق نجيـب الريحـانى. سـريان النار فى الهشيم! فوفاة الأب لم تشغله عن هوى الفن، وتقطـع الأسباب بينه وبين قراءة المسـرحيات التـى تقـع فـى يـده. أو العروض التى يتاح له أن يشاهدها، سواء من الفرق العربية أو الأجنبية!

ووقع حادث .. جدد الأحزان، وكان باعثه أخوال الصبى.

فقد شغل أهل الأم، من حياة أبناء إلياس الريحانى .. اهتماماً كبيراً، خاصة بعد موت الأب. كان أغلبه فى الجانب العكسى، أى الضيق بهم إن لم يكن الكراهية لهم! إذ كان هؤلاء الأقارب والأخوال، يرون أن من حقهم، التدخل فى شئون أختهم وأولادها .. بل التخطيط لمستقبلهم جميعاً. فهى "ولية مقصوصة الجناح"! وإذا كانت الأم لا تجد حرجاً فى ذلك، بل عدته من علامات المحبة والاهتمام، يستوجب عليه أصحابه الشكر. فقد استشعره أولادها على العكس، وبغضوه بغضاً كبيراً! لأنه من وجهة نظرهم يستأهل اللعن! فهو من ناحية، إقحام فى خاص الشئون .. التى يجب أن لا يسمح لغير أصحابها بتدبرها. ومن ناحية أخرى، إغفال لشخصيات الأبناء المستقلة. سواء من بلغ منهم سن الرشد، أو لم يبلغ. ففرض الوصاية وبالذات ممن لا حق له، غير مقبول أصلاً!

يصور عثمان العنتبلى فى كتابه "نجيب الريحانى"، هذا الجانب من حياة الفنان الكوميدى الكبير، وتأثيره المؤلم عليه، بقوله:

"الشىء الوحيد الذى كان ينغص حياة نجيب هو أهل والدته .. لقد كانوا جميعاً موظفين بالحكومة، وكانوا غير راضين عن خطة نجيب فى الحياة، يعايرون أمه بأن ابنها "مشخصاتى مهرج". وقد ضاقت الحيلة بنجيب .. إنه يحترم أمه التى تحب أهلها، ولهذا نراه يفر فراراً عندما يحضر لزيارة

أمه قريب، فهو لا يحب أن يؤذى أذنيه بحمم اللوم وقارص التقريع لهوايته الفنية. وكانت الأم تشقى وتتعذب بين شعورها نحو ذوى قرباها اللوامين وبين ابنها وحبيبها نجيب المتأفف المتأذى من اللوم والتقريع والمعايرة"!

ولم يقف الضيق بنحيب عند هذا الحد، بل تعداه وهو لم يستطع تحمل أذاه، إلى أن يهرب من البيت! وكانت هذه "العملة" منه بالذات، وليست من ابن آخر .. أكثر ما آلم أمه. التي أخذت تبحث عنه لا فى بيوت القاهرة فحسب، بل فى الأقاليم أيضاً!

ومن الطريف أن مجال الهرب ووجهته، اتفقتا تماماً مع هوية نجيب الريحانى .. فكان الهروب الملتزم، ولم يكن أى هروب! إذ أنه هرب مع فرقة مسرحية جوالة، هى فرقة أحمد الشامى .. حطت رحالها فى مدينة طنطا! وكانت هذه الفرقة على شهرتها، خاصة فى المحافظات .. فقيرة الإمكانيات المادية. صحيح أنها عند ما تزور قرية اومدينة في الأقاليم، تؤجر بيتاً من بابه .. أى كاملاً. ولكن هذا لزوم الفقر لا الغنى. إذ أن عدد الممثلين الكبير، يتأبى على مبيتهم في فندق .. مهما كان متواضعاً! ومن هنا كان الممثلون ينامون في المنزل المؤجر على الأرض مباشرة! بلا فراش من أى نوع، ولا حتى حصيرا! ومن هنا أيضاً، كان الممثل فى معظم الأحيان .. يتقاضى أجره أشياء عينية ريفية. هى التى يقدمها الريفيون، لمشاهدة عروض الفرقة! مثل اللبن والبيض والأذرة المشوية! والعروض تمثل على ألواح خشبية، ترص فوق براميل فارغة فى الأجران!

هـذه هـى الفرقـة التـى صحبهـا الريحـانى سـعيداً، إلى عاصمـة الغربية. والتى استطاعت الأم بعد بحث طويل، أن تصـل إليـه فيها!

ويصحو الابن ذات ليلة، وفى ساعة متأخرة .. من سبات عميق .. على من يقبله وهو يبكى. وكانت أمـه. ولا يملك الفتى إلا أن يبكى هو الآخر. ويخفف كل منهما على الآخرّ آلامه وأحزانه. ولما كان ضعيفاً إزاء دموع أمه، فهو يضطر إلى أن يستجيب لإلحاحها .. ويرجع إلى البيت!

(٢)

ولا يكاد نجيب الريحانى ينتهى من دراسته الثانوية فى الفرير .. حتى يأخذ فى البحث عن وظيفة .. ويجدها فى البنك الزراعى وكان عمره وقتها السادسة عشر. وأتاح المرتب للريحانى، أن ينغمس أكثر فى أجواء المسرح .. قارئاً ومتفرجاً. ولم تكن الأم الأمية، بغافلة عن انسياق الابن فى هوايته. وكانت بين نارين، بين أن تعنفه .. وبين أن تسكت عنه، وهو يؤدى واجبه تجاه الأسرة. ومع أن الاعتبار الثانى، كان له الغلبة. إلا أن ذلك لم يمنعها، من أن تزجره .. أحياناً كثيرة. على "قلة القيمة"، التى تجعله يعشق شيئاً اسمه "التشخيص"!

ولم تكن الأم تدرى، أن ابنها .. قد تجاوز غرامه بالمسرح .. المدى الذى تظن. وأنه أقدم على خطوة أخرى، تقربه من

أشد ما تخافه. وهو احتراف التمثيل والتفرغ له! ومن الطريف أن الذى شجع الريحانى على ذلك .. عمله في البنك الزراعى نفسه! وتعرفه على شاب سورى، يعمل أيضاً بالبنك، ويهوى الفن .. اسمه عزيز عيد! وهو الآخر يجيد الفرنسية والترجمة عنها. إذا تطلع الصاحبان إلى مزيد من الانغماس فى عالم الفن. والارتشاف المباشر من منابعه الأصلية. التى تتواجد فيبداية الموسم، فى فصل الشتاء .. عندما تهل الفرق الأجنبية العالمية على مصر، لتعمل على مسرح دار الأوبرا الخديوية بالقاهرة. ولم يكن ذلك بحضور عروضها، فى مقاعد الدرجة الثالثة فحسب .. فقد سبق لهما أن فعلا .. بل بالعمل معها! وكان ذلك ممكناً .. ليس بالطبع بالمشاركة الفعلية بالقيام بالأدوار الأولى أو الثانية، أو حتى العاشرة! بل بالقيام بدور شديد الهامشية .. ضمن الكومبارس! وعن طريق "ريجسير" يورد هواة الفن المجيدين للفرنسية، للعمل كومبارس للفرق الأجنبية الوافدة. استطاع نجيب وعزيز عيد، دخول كواليس الأوبرا والوقوف على خشبة مسرحها!

وهكذا تمكنا من الاقتراب كثيراً، من عمالقة المسرح الأوربى فى كل مجالاته. وبالرغم من أن موقعهما فى الاوبرا، كان فى أدنى درجاته .. إلا أنهما اطلعا من مكانهما السحيق، على أشياء غنية غير قليلة .. شاركت فى تكوينهما فنياً. وكانت فرصة ذهبية، شاهدا أثناءها أسماء عالمية .. مثل سارة برنار وكوكلان ومونيه سيلى وسليفان.

ولكن كيف واءم نجيب الريحاني، بين وظيفة أكل العيش وبين هواية الفن؟ وهل واتته عبقرية اديسون المخترع الأمريكي، وهو يحتال على صاحب العمل، وينام فى أثناء وردية المساء .. ولا يكتشف أمره؟ أبداً فلم يملك هذه القدرة، لسبب بسيط .. هو أنه فنان وليس مخترعاً! بل سلك الريحانى الأسلوب التقليدى، الذى يلجأ إليه الموظف المصرى .. فى سبيل الحصول على إجازة بحجج واهية. وتنفذ أيام الإجازات الحقيقية والمفتعلة، ومع ذلك يستمر فى الذهاب إلى الاوبرا والبروفات والعروض .. مفضلاً إياها على البنك، والعمل الروتينى الكئيب! وتكون النتيجة، أن يفصل من عمله!

وتصدم الأم صدمة عنيفة، فهى لم تتخيل أبداً .. أن يصل الحال إلى هذا الحد، من استخفاف ابنها الشاب بمشاعرها. فقد شكل عجبها، أن يخون نجيب ثقتها فيه .. ويتجاهل مسئوليته إزاء أسرته. فمقياسها الذى يجب أى مقياس آخر فى نظرها، هو الحفاظ قبل كل شىء على أمان عائلتها الصغيرة .. والوصول بأفرادها إلى بر الأمان. فالحياة قاسية والزمن غادر، وإذا لم تحسب حساباً للغد تعرضت للضياع. هذا الالتزام يسبق المزاج والكيف، بل والمصلحة الشخصية. التى يجب أن تتأخر فى مثل هذه الظروف.

لقد كانت قبلاً لا تفهم، ما ينتاب ابنها من ضعف شديد للفن. واستعداده لبذل كل غال ورخيص فى سبيله. وتعجب كيف يتفق مثل هذا الهوس، مع اتزان إنسان! ولكنها مع ذلك، كانت تحاول أن "تفوت". واهمة أو واثقة، أن

بجيب يملك من العقل، ما يمكنه من "فرملة" غرائزه أو عشقه للمسرح. ولا بأس من أن يغالى قليلاً أيام مراهقته، فالحياة العملية، والأيام والليالى، كفيلة بوضع الأمور فى نصابها .. وإرجاعه إلى الصواب. ولكن ما أشد ما كانت واهمة.

كان الفصل من الوظيفة، أحد الاحتمالات الواردة فى تخطيط نجيب الريحانى. ولذا لم يدهش أو ييتئس، عندما وقع. ومع ذلك فقد حزن لحزن أمه، التى كان يحبها حباً شديداً. وود لو استطاع أن يزيل عنها، ما سببه لها من آلام. إن الخلاف بينهما، لا يفجره أنه لا يطيعها لأنه يحب الفن أكثر من حبه لها .. كما تتصور أمه أحياناً. بل لأنه يدرك ما يخفى عنها. فإذا كانت تريد له الخير، الذى يكمن خلف بغضها للتمثيل المفسدة .. الذى ليس من ورائه طائل ولا فائدة. فهو يرى العكس على طول الخط. فصالحه فى ما تستوعبه روحه، ويملك عليه نفسه. وهو فى ذات الوقت، شىء رفيع .. يرتقى ببنى آدم ويجعل لهم قيمة.

وأكثر من ذلك، يمكنه فى قابل الأيام .. أن يكون مثل أى جهد بشرى عظيم آخر، مفيداً مالياً! وليس كما كان سائداً يومها، فى أدنى الأجور، التى تقل عما يحصل عليه العربجى أو الحاوى! وكان نجيب الريحانى، يعرف أن غضب أمه لفقدان إسهامه فى مصاريف البيت .. ليس إلا مجرد غطاء، لا يقارن بخوفها على مصيره التعس لو ترك قياده لعشق المسرح، ولكن لابد مما ليس منه بدا

التفرغ للفن .. هو حلم كل فنان .. فى الماضى والحاضر والمستقبل. وقد تمنى الريحانى عاشق المسرح، هو الآخر .. أن يتاح له هذا الحلم. وبدا الفصل من الوظيفة لفناننا الشاب، كأن القدر قد هيأه له خصيصاً! ليفسح المجال أمامه لموهبته. ويعمل صاحبنا مع صديقه عزيز عيد المفصول هو الآخر من البنك .. فى "الجوق" الذى أنشأه الأخير باسمه. ثم بفرقة سليم عطا الله بالاسكندرية. ولكن هذا كله يكون الاستثناء. أما القاعدة فهو التبطل. فالحياة المسرحية فى أوائل القرن العشرين، كانت من الضعف .. بحيث لا تستوعب هواة الفن والأجيال الجديدة.

ولذا كان الجلوس على المقهى وانتظار الفرج .. هو ما يمكن عمله فى أغلب الأيام. ولما كان استمرار الحال على هذا المنوال، أمراً فوق طاقة البشر .. حتى لو كان إنساناً ذائباً فى المسرح. فقد بدأ نجيب الريحانى يفكر جدياً فى الرجوع إلى الحبس والقيود .. أى الوظيفة! ويجدها هذه المرة خارج القاهرة .. فى مدينة نجع حمادى، فى شركة السكر!

وهكذا نجح نجيب فى إقناع نفسه، فيما فشل فيه غيره! سواء كان هذا الغير، هو الأم أو الأخ أو الأقارب. وكان أسعد هؤلاء جميعاً، هى الست لطيفة. وجاءت، سعادتها مضاعفة .. لا لأن رجوع الابن إلى الحق، فضيلة فحسب. بل لأن الوظيفة التى عثر عليها، ليست فى العاصمة الكبيرة .. المليئة بشرور المسرح! ويداعب خيالها أمنية تبدو مستحيلة،

ولكن ما على الله ببعيد. وهى أن تنسيه المدينة الصعيدية الصغيرة، الأقرب إلى قرية .. حبه المسرح!

وفى ذلك الحين، بينما العالم كله يهاجر من قارة إلى أخرى .. كان نقل الموظف المصرى من مدينة إلى أخرى، والعيش فيها داخل الوطن .. بمثابة النفى. أو فى أقل القليل .. الغربة، التى تتأذى لها النفوس. وتدخل الوحشة على القلوب، وتؤلم أشد الألم .. الكبير قبل الصغير .. خاصة الأمهات. التى تستقبل الواحدة منهن الأمر، بنواح مستمر. من يوم أن يجىء الخبر، إلى أن يتم السفر! ويكون الوداع بين الجانبين، كأنه وداع الموت .. لن يتم بعده لقاء أبداً.

وقد حاولت الست لطيفة فى هذه الأثناء، أن تخفف من حزنها .. فلم تستطع. ففجيعتها لبعد الابن، أقوى بمراحل من سعادتها بوظيفته الجديدة. وقد استمر إحساسها بالثكل وقتاً طويلاً قبل سفره.

وبالرغم من أن نجيب الريحانى، استمر فى عمله الجديد بالصعيد، حوالى العامين، إلا أن شوقه للمسرح لم يفتر. بل ربما على النقيض. إذا أشعل الحرمان غرامه به. ولم تفلح عطلة نهاية الأسبوع، أو الإجازة الشهرية .. فى تعويض كل ما يعانيه فى بعده عنه!

(٣)

ولعل هذا الكبت قد اتخذ لنفسه، مجرى آخر لنشاط صاحبه وحيويته .. وهو المرأة. وكانت هناك أشياء تشجع على ذلك، وهو وسامة الريحانى ورجولته ومرح حديثه وأناقته. والأخيرة، كانت العامل الأول الذى شد إليه زوجة مديره. استلفتها إليه براعته فى انتقاء ملابسه، وذوقه فى اختيار ألوانها. ولما كانت هذه السيدة تتيه زهواً بمكانتها فى المجتمع الصغير، وتعمل على أن تكون البارزة فى مملكة النساء والأناقة. فقد استعانت بمرؤوس زوجها، لا فى شراء الجديد الأنيق من القاهرة فحسب، بل فى اصطحابه إلى المحلات العامة فى نجع حمادى نفسها .. لاختيار المناسب لها. وما يتفق مع أحدث صيحات المودة!

ومكانة الريحانى منها، جعله الضيف الدائم فى حفلاتها .. التى تقيمها كثيراً. والتى كان صاحبنا يضفى عليها، من نفسه المرحة وقفشاته الضاحكة وروح ابن البلد .. الكثير من المتعة. وهذا الإعجاب الظاهرى لزوجة المدير .. بالريحانى، كشف من غير أن يفصح من تفاصيل .. عما يمكن أن تكون عليه علاقتهما الخافية. الأمر الذى أكثر من القيل والقال، خاصة وسط مجتمع صغير وفى بلدة صغيرة. ويصل خبر العلاقة إلى الزوج .. وتكون فضيحة. تشجع على فصل هذا الموظف هاوى الفن، الذى يتغيب كثيراً فى نجع حمادى أيضاً .. عن عمله!

ويعود نجيب الريحانى إلى القاهرة، بخيبة الأمل راكبة الجمل .. كما يقول المثل الشعبى!

وتشرق الحياة وتغرب بنجيب الريحانى، فى عالم الفن. ويبدأ يعرف طعم الفوز وهو ينجح فى عمل مسرحى إلى آخر. ولكن شهرته تنفجر، بعد أن مثل شخصية كشكش بك العمدة الغني، الذى يجىء إلى القاهرة .. بعد بيع محصول القطن، متخماً بالمال. ينفقه فى السكر والعربدة وعلى "الارتستات" .. واقعاً بين براثن المحتالين. وفى النهاية يرجع خالى الوفاض إلى قريته. هذه الشخصية التى صارت علماً على الريحانى. فعرف بها وعرفت به. وظلت لاصقة باسمه، إلى آخر أيام حياته. حتى بعد أن ترك تمثيلها بربع قرن!

وتفرح الست لطيفة بنجاح ابنها المدوى. وتتوارى شيئاً فشيئاً، أحزان ومخاوف الأمس القريب والبعيد .. بشأن المسرح والتشخيص! لقد كان ابنها أصدق وعياً منها، وأدرى الناس بنبوغه .. وأكثر استشرافاً للمستقبل. من يصدق أن الفن الذى كانت تخافه على ابنها، من ناحية أنه يجعل المرء أكثر فقراً .. يحمل إليه الغنى والشهرة!

وكان طبيعياً أن الأم، التى تكره المسرح فى الماضى .. لأنه أغوى ابنها الحبيب، يصبح فى حاضرها .. كائناً ساحراً معشوقاً! تكثر من التردد عليه، وتحضر عروض فرقة بالذات .. هى فرقة "نجيب الريحانى"! التى تذهب إليها عادة، فى جماعة من صويحباتها وسيدات الحتة! ولا تملك نفسها إزاء إعجاب

المتفرجين الغامر بابنها .. وتصفيقهم بحرارة له، وهتافهم باسمه .. من أن تنهض من مقعدها في اللوج، صائحة وهي في منتهى السعادة .. "أنا أم كشكش بك"!

(٤)

إذا كان توفيق الحكيم الانطوائي، صاحب البرج العاجي، قد عرف بعدائه للمرأة. فإن الريحاني الاجتماعي، كان عاشقاً لها. العشق الذي يعرف مكامن القوة والضعف فيها. فلا تعميه عاطفته ووله بها، عن الملامح الداخلية والخارجية في تكوينها.

يقول الريحاني عن المرأة، في إحدى مسرحياته، وهي "٣٠ يوم في السجن":

"أنا أموت في الهوى اللي يهف من ناحية طراطيف ديل فستانهم. ومحتار اختار مين الستات؟ .. السمينة والاّ الرفيعة .. الطويلة والاّ القصيرة .. السمرة والاّ البيضة .. كلهم حلوين .. كلهم جمالات .. كل واحدة منهم فيها طابع وفيها سحر وذوق .. أحبهم كلهم .. أحب النوع من أوله لآخره .. زي ما يحب الواحد الفاكهة .. واحتار أنقي إيه منها .. المشمش والاّ الخوخ والاّ الفراولة والاّ المنجة .. أنا عيني مش فارغة، ما اتبطرش على اللي يصادفني .. خوخة .. وإلا مشمشة .. خيارة مفيش مانع"!

عرف الريحانى حواء، وعقد معها صلات حميمة .. منذ أن كان فى الخامسة عشرة من عمره! لم يغير يوماً من أسلوب معاملته لها. فهو الرقيق المعجب الغزل، وليس الخشن المتجاهل المتكبر. الرجل الجنتلمان، الذى يضع نفسه فى خدمتها، والاعتناء بها. لأنها بالنسبة إليه، الزهرة واليد الحانية والوسادة التى يريح رأسه عليها. ولذا كان دائماً صديقها .. ينقدها من منطلق الحب، ولا يقسو عليها إلا نادراً.

وفى معظم الأحيان، بادلته المرأة إعجاباً بإعجاب .. وحباً بحب. وسارعت إلى نجدته فى أيام أزماته المالية وغير المالية. يقول عثمان العنتبلى فى كتابه "نجيب الريحانى"، عن صاحب الترجمة. بالوسائل اللينة اللبقة عامل المرأة فى حياته الخاصة واستطاع أن يعقد فى وقت واحد صداقات مع نساء عديدات!

"قال ناقد قديم: كنت جالساً مع الريحانى يوماً فى بيته، وكان فى ضائقة مالية شديدة، ونجيب يطوى نفسه على نفسه ويخفى أمر ضائقاته المالية، وكانت إلى جانبه امرأة وفية مخلصة تقدس نجيباً وتعبده عبادة، وقفزت المرأة واقفة متلفعة بروب دى شامبر ونزلت الطريق مرتدية "شبشباً" وراحت تنادى بائع المشروبات فى ساعة متأخرة من الليل ليحضر زجاجتين من البيرة المثلجة، حملتهما بنفسها مع الثلج والمزات وأعدت المائدة وزينتها بالأزهار والورود، وتلطفت معنا بحنان ودعة لننهض ونجلس إلى المائدة وننسى ما نحن فيه باحتساء الشراب المثلج.

فنظر إلى نجيب ثم إليها واحتوى يديها الصغيرتين فى يديه الكبيرتين وكأنه يشكرها صامتاً على شعورها الرقيق واهتمامها بأمره وكأنه يقول لى أيضاً انظر إلى حنان المرأة أليست عالم ترفيه وتسرية"؟!

كان نجيب الريحانى يؤمن أن المرأة، أحد مخلوقات الله التى جاء بها رحمة للعالمين. والتى تعكس أيضاً قدرته وعظيم إبداعه. وكان رأيه "إن المرأة مخلوق ضعيف، سلبتها الطبيعة التفكير العميق ومنحته غالبية الرجال، وعوضتها بدلاً منه جمالاً ونعومة وطراوة، أفلا يحق لها أن تتدلل وتتثنى وتتأود كالأغصان، وأن نحتملها نحن الرجال ونحملها كما تحمل الأشجار الأغصان؟!

"ألسنا نحن الرجال نستخدمها ونسيرها؟ إن العقل يحتم علينا احتمالها، ويفرض تدليلها، فما ينبغ المرأة غير التدليل والتسامح عن أخطائها والتجاوز عن هفواتها، والرضوخ لبعض أهوائها .. إن هذا الاحتمال والتدليل والتسامح والتجاوز والرضوخ يجعلها طيعة لينة سهلة وكأنها عجينة طرية تتشكل وفق ما يهوى الرجل.

"آه لو يدرك الرجل كم هى ضعيفة عاجزة قاصرة! إن المرأة ليست لغزاً كما يقولون، وليست غامضة كما يشيعون، وليست شيطانة متمردة كما يدعون!

"على الرجل أن يتعمق قليلاً فى دراسة المرأة وطبيعتها وخصائصها وأخلاقها ونواياها الحقيقية، لو فعل هذا لأراح

واستراح. ولكن الرجال يتعبون أنفسهم لتشبثهم بأنانيتهم وفكرة الاستحواذ والسيطرة عليها، وإخضاعها خضوعاً مطلقاً، فيثير هذا عناد المرأة وكبرياءها .. وآه من المرأة لو عاندت وتكبرت؟! إنها تصبح كالوحش وتنقلب وداعتها إلى أفاع وحيات .. وقانا الله شر وحشيتها وسموم أفاعيها وحياتها!! ومتعنا بنعيم أنوثتها وجمالها"!

وهذا المفهوم أو المفاهيم، هى التى شكلت موقف الريحانى من المرأة .. طوال حياته! وهى التى تفسر الكثير من أحداث فناننا الكبير العاطفية وغرامه بحواء!

وصدق الريحانى مع المرأة، النابع من صدقه مع نفسه .. هو الذى مكن له من الفوز من قلب الأنثى. فهو لم يكن من صنف الرجل "الذئب" أو "الدون"، الذى يتحين لحظة ضعف من المرأة، ليستولى عليها. أو يتسلل إليها من خلال شباكه وخيوطه العنكبوتية، التى يوقعها بها. بل كان فناننا عاشقاً، يستهويه الجمال .. ويتعبد فى محرابه. وليس ناهشاً فى الجسد .. يحطم المعبد على صاحبته!

ولاشك أن أسارير الريحانى، الناطقة بأعماقه. مهدت له الطريق إلى أعصى القلوب. يتوقف الموسيقار محمد عبد الوهاب، عند هذا الملمح .. لدى فناننا الكوميدى العظيم، قائلاً: "إن للريحانى وجهاً معبراً صارخ الملامح ناطق السمة؛ تكاد كل خلجة فيه تبرز قصة بليغة صامتة. وله لمحات تظفر من عينيه يسجل فيهما أروع أحاسيس الفنان الملهم .. دمعة

كسيرة، أو نظرة تكسب لوناً إعجازياً قل أن يكـون لـه نظـير فى العالم ..

"وكانت له أيضاً نبرة صوت فيها كل شحن الفنـان، تقفـز رأساً من خفقة قلبه لتخرج من شفتيه أشـبه بهمسـة واهنـة لا تكاد تسمعها الأذن .. ولكنها أنفاس حارة تنفـخ أحيجـاً مـن نار فى إحساس من يتتبعه".

(٥)

كان الريحانى يشكو فى ذلك الوقت -يونية سـنة ١٩١٦- حالة من الإفلاس. بعد أن ترك العمل بإحدى الفرق الكثـيرة، التى أنشأها صديقه عزيز عيد .. بعد خلاف معه. وبينما هـو يجلس على مقهاه الأثير لديه، ينتظـر الفـرج مـن السـماء. إذا باستيفان روستى يقبل عليه. وفوجـئ بجيـب بالتغيـير الكبـير، الذى طرأ على مظهر صاحبه المفلس! الذى بدا فى أتم مظـاهر الأناقة والثراء. وهو الـذى كـان حتـى أيـام قلائـل .. لا يقـل بؤساً ورثاثة ثيـاب عنـه. ويحمـل استفان لـه خـبراً .. عمـلاً جديداً مجزياً. وإن خشـى ألا يقبلـه الريحـانى، الحريـص على مستوى ونوعية ما يقدم.

لقد أتيح لاستيفان روستى، الالتحـاق بملهـى ليلـى. يقـدم فيه مع راقصة، استكتشاً خليعاً بأسلوب خيال الظـل .. يظهـر بين فقرات الرقص المختلفة. وهـذا الملهـى "الابيـه دى روز"، كأى كباريه آخر .. مادته الأساسية، هـى سيقان الراقصـات

والأحساد العارية والإثارة الجنسية. لذلك فإن فقرة الاسكتش الهامشية، لا تعد من الفن إلا تجاوزاً. وهي نفسها المتاحة للريحاني، أن يشارك فيها. ولدهشة استيفان روستي .. قبل نجيب. الذى كان فى إحدى حالات اليأس الملعون، التى تفرض على المرء، وهو لا يجد ما يقتات به، أن يتنازل عن أشياء كثيرة. ولم يكن الجوع كافراً فحسب، بل كانت الكرامة مهدرة أيضاً. وصاحبنا يذكر أنه كان إلى عهد قريب، موظفاً محترماً .. يقبض مرتبه بانتظام فى أول كل شهر. وذلك قبل أن يدفعه الفن، إلى الاحتراف. ليصبح "سنكوحاً" كالمتشرد .. ضمن حيش الفنانين والممثلين العاطلين.

تقول الدكتورة ليلى نسيم أبو سيف، فى كتابها "نجيب الريحانى وتطور الكوميديا فى مصر"، عن بداية عمل فناننا فى الملهى الليلى: "كان دور الريحانى فى تمثيلية "خيال الظل" بسيطاً للغاية. إذ تقدم راقصة أجنبية حسناء "نمرة" مثيرة – وراء الستار– بمصاحبة الريحانى، الذى كان يؤدى دور خادم نوبى، على رأسه طربوش مراكشى. وكانت الكوميديا تنبع أساساً من التلاعب بزر الطربوش أو مغازلة الراقصة، أو الاستجابة لحركاتها المثيرة بحركات هزلية"!

وبالرغم من بساطة أو تفاهة العمل، الذى يقوم به الريحانى فى كباريه "الابيه دى روز" .. إلا أنه كان سعيداً، بعد أن ودع الفقر. بالأجر المرتفع الذى يحصل عليه كل ليلة، ومقداره ستون قرشاً! بجانب أن قدمه كانت ترسخ، يوماً بعد

يوم فى الملهى. ولم يكن ذلك لاعتراف اليونانى المسيو روزاتى مدير الكبارية بنبوغ الريحانى الفنى، بل بفضل إعجاب زوجة الرجل نفسه .. مدام روزاتى! ويجد ممثلنا الشاب بعد قليل، أنه فى حاجة قصوى .. إلى تأييد مدام روزاتى له، فى مهمة شخصية، لن يقدر لها النجاح، إلا بمساعدتها! وهى إقناع زوجها بما فكر فيه، لتطوير الاسكتش الذى يقدمه، ويجعله عملاً فنياً حقيقياً .. فيه الدراما والرقص والموسيقى.

يكتب فناننا فى "مذكرات زعيم المسرح الفكاهى نجيب الريحانى": "كان لمسيو روزانى زوجة إذا رآها القمر ليلة ١٤ أصبح وجهه فى صفرة الليمون! كانت أجمل امرأة فى القطر المصرى .. وقد زادت معلوماتى عنها بعد أن زرت أوربا، إذ علمت أنها كانت أجمل امرأة في العالم. وكانت مدام روزاتى محط إعجاب الناس جميعا .. وكان إعجابها هى يتكتل كله ليحط على العبد الفقير وحده!

"واستطعت أن اكتشف بغير ذكاء، أن إعجابها بى -الذى كانت تبديه نحوى بمناسبة وبغير مناسبة- لم يكن لوجه الله .. ولا لوجه الفن. بل لوجهى الوسيم .. باعتبار ما كان .. واعترف بأننى شكرت الحظ .. فقد كنت فى حاجة بطريقة أقنع بها المسيو روزاتى بوجاهة فكرتى، ورأيت من الصواب أن أعرضها عليها -مدام روزاتى- حتى إذا اقتنعت بها -وهى ستقتنع بها حتما أقنعت زوجها .. وقد كان .."!

وهكذا بفضل مدام روزاتي، ظهرت إلى الوجود .. مسرحيات كشكش بك عمدة كفر البلاص! التي يؤلفها ويمثلها ويخرجها ويلحنها .. نجيب الريحاني!

بعض الناس نقصد بعض الرجال .. يستهويه خاصة في المجالات التي تتواجد فيها المرأة .. أن يخلط بين العام والخاص، أو بين العمل والحب. ولكن نجيب الريحاني كإنسان وفنان، لم يكن من هذا الفريق. ولذلك جعل موقعه دائماً من مدام روزاتي، على بعد خطوات .. لا يتجاوزها أبداً. وهو إذ يعترف لها بالجميل، فلا يعني هذا أن ينغمس معها في مغامرة غرامية .. بينما كانت هي على العكس!

ولا يفسر موقف الريحاني من زوجة مدير الكبارية، بأنه كان يعيش قصة حب مع صديقته الفرنسية لوسي دي فريزني. فمن المعروف أن الكوميدي الكبير، كان لا يؤمن بأن القلب له واحد. بل إن العواطف، يمكن أن تضم أكثر من غرام في نفس الوقت! يقول نجيب الريحاني لصديق عمره بديع خيري، كما سجل الناقد الفني عثمان العنتبلي .. مفسراً موقفه من مدام روزاتي: أقسم لك أنني ما فكرت يوماً أن أستجيب لعاطفتها نحوي، مع أني كما تعلم وأعلم أني أحب النساء ولا أرفض واحدة أيا كانت .. ولكنني لم أتجاوب مع هذه السيدة بالذات لأسباب خاصة احتفظ بها لنفسي أولاً، ولأنها زوجة لرجل يعبدها، وهو غيور عليها مجنون بها، كما أنها لا ترعى حقوقه الزوجية .. متكالبة على إرضاء نفسها

بشكل منفر، كل هذه الأسباب جعلتنى يا بديع أصدف عنها تماماً بالرغم من التقولات والتخرصات التى حيكت حولى".

ولم تكن الحسناء صاحبة السطوة، تقبل بالهزيمة. ولذا كررت محاولاتها .. بلا جدوى. وعندما أيقنت أن لا فائدة، تنمرت وكشرت عن أنيابها. وأعلنت له رأيها الصريح فيه وفى أجداده. وصعق نجيب الريحانى، لتبدل حال الغانية. التى كانت تبدو كالملاك .. رقة ونعومة وسحراً، فإذا بها على النقيض تماماً. يقول فناننا: "لم أر فى حياتى امرأة فى مثل ثورة تلك المرأة .. ولم أتصور شيطاناً حقيقياً أبداً، ولكننى عرفته تماماً .. لقد كان هذه المرأة المحنقة، التى أكبر نفسى حين أذكر تصرفى معها"!

ونستطيع أن نفهم نجيب الريحانى أكثر، إذا تعرفنا على فلسفته فى الحياة، التى كانت هى نفسها فلسفته فى القضايا .. التى يعالجها فى فنه. فهو يؤمن بالقضاء والقدر، وما خطه الله للبشر من الأزل إلى الأبد. يقبل على الحياة وأطايبها، بروح نهمة. ولا يسوؤه ما يفوته قلة أو كثرة من خيرها. اطمئناناً إلى أن "المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين"! ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى صلاته بالمرأة، أو عواطف حبه. وكما كان شديد السخرية من أشياء كثيرة، وهو على المسرح .. يفعل ذلك فى غرامياته.

يحلل زكى طليمات هذا الجانب فى تكوين نجيب الريحانى، يقول: "هذه السخرية كانت عند الريحانى بقدر موفور، لأنه

تمرس بالدنيا، واع يقظ مفكر، ومن أوعى وأيقظ من الممثل الموهوب طبعاً، وهو يحس ويرى والعين منه مسدلة الجفنين؟ والسخرية عند الريحانى، وقد أصبحت لوفرتها تؤلف وجهة نظره إلى الأشياء، تبطنها عقيدة بأن الله يقسم حظوظ البشر كما يريد، فلا عتاب ولا ملامة .. فهى سخرية ضاحكة مستسلمة، وغير ثائرة.

"والسخرية عند الريحانى متفائلة مستبشرة، لأنه عرف الغنى بعد الفقر، والنعيم بعد البؤس. وفى سخرية الريحانى أطراف من فلسفة الاعتدال، ومن روح الشرق ومن روحانياته، وفى قناعاته وفى الرضا بالأمر الواقع، وفى التوكل والتواكل، وفى مطاوعة الأيام. وفى سخرية الريحانى إغراء بأن يحسن المرء التمتع بما يكون بين يديه، لأن ما فات لن يعود، ولأن المستقبل غيب بيد الله".

(٦)

اشتهرت بديعة مصابنى زمناً طويلاً، بأنها إحدى الغوانى الشهيرات .. التى وقع فى حبها كثيرون، وخدعت هى الكثيرين. حتى أطلق عليها "ملكة الليل" وجمعت حولها فى الملهى الليلى المشهور، الذى أطلقت عليها اسمها "كازينو بديعة" .. الكثيرات من صنفها! ومواقفها منذ بداية حياتها تنبئ بما وقع بعدها! تذهب وهى لا تزال صبية، جريئة مكتملة الأنوثة ذات جسد فائر .. إلى الممثل المشهور نجيب الريحانى فى فرقته. وتقدم إليه نفسها، كفتاة شامية .. تهوى الفن.

وتستأذنه في أن تسمعه صوتها. وتغني أغنية بصوت شجي. يطرب له. ويتنبأ لها بمستقبل عظيم. ويستجيب إلى رغبتها في الالتحاق بفرقته، ويدفعه الإعجاب إلى أن يحرر معها عقداً في الحال. على أن تبدأ العمل في الغد.

ولكن يجيء الغد وبعد الغد، ولا تظهر الفتاة في القاهرة كلها. فقد اضطرت أن تغادر مصر، في اليوم التالي مباشرة. ولم يعرف الريحاني ذلك، إلا بعد سنوات عندما سافر إلى بيروت، في أولى رحلاته إلى الشام. وبينما هو يعرض مسرحية له، يفاجأ بمعجبة حسناء تصفق له بحماس شديد. ولا تلبث أن تزوره في حجرته بالمسرح بعد العرض .. وإذا بها بديعة مصابني ذاتها. التي أصبحت راقصة مشهورة، وتدير صالة .. ولها كثير من المعجبين!

وتكون الرياح مواتية هذه المرة، لتعمل معه. ويقود الإعجاب المتبادل بينهما إلى الحب .. بعد أن يطلق كيوبيد سهامه. وتبدأ العلاقة التي سوف تستمر أكثر من ربع قرن بين ارتفاع وانخفاض! وبعد انتهاء جولة الريحاني في الشام، يعود إلى القاهرة ومعه فرقته وفيها بديعة مصابني!

هناك صنفان من الفنانات، الأول أصيل .. وتملك صاحبته موهبة حقيقية .. تعمل على تنميتها. وتجاهد في سبيل إنضاجها، باذلة النفس والنفيس. مدركة أن الوصول إلى تحقيق الحلم، المتصل بالجوهر أكثر من المظهر، والمستهدف للخدمة العامة قبل الخاصة .. يحتاج إلى معاناة شديدة ووقت

طويل. أما الثانى، فصاحبته لا تملك الأصالة والقدرة والرغبة قبل كل شىء، لتبذل شيئاً فى سبيل الالتزام الفنى وقضايا الجماهير. وإنما تغلبها أنانيتها على أمرها. وتريد أن تحقق مرامها فى أسرع وقت ممكن، وبكل الأساليب المشروعة وغير المشروعة .. وبديعة مصابنى من الصنف الأخير!

ومثل هذا المزاج الذى تتحلى به بديعة، يسم صاحبته فى مجال العمل الجاد .. بالكسل وعدم الاستجابة. ومن هنا عانى نجيب الريحانى منها الأمرين، داخل الفرقة. يشير الفنان الكبير فى مذكراته، التى نشرتها له دار الجيب، يقول: "وبدأنا إجراء البروفات فإذا بى اكتشف فى بديعة ناحية عجيبة وهى أنها لا تصمد فى البروفات، فكثيراً ما كانت تتضايق منها، ولكنى أقابلها دائماً بشدة وحزم. وذلك لأننى كنت أعتقد فى قرارة نفسى أن هذه الفتاة موهوبة وأنها ستصبح فى يوم من الأيام نجمة فى عالم الفن فكنت أؤنبها بشدة إذا تأخرت فى الحضور أو تبرمت بالبروفات .. فكانت تثور وتغضب ولكنى لم أهتم لثورتها، بل على العكس .. كلما تبرمت إزددت فى تعنيفها. كما كنت ألمح لها أن هذه السياسة التى أتبعها معها أنا هى لمصلحتها. ولكنها لم تكن تأبه بهذا التلميح حتى أنها أوشكت ذات مرة على ترك العمل"!

وبالرغم من أن جهود الريحانى، بالنسبة إلى بديعة قد أثمرت .. ووفقت فى قيامها بدورها فى مسرحية "الليالى الملاح" .. وظهرت لأول مرة كممثلة حقيقية. إلا أنها لم تتغير بما فيه الكفاية، لتصبح ممثلة مجيدة. مع أنها أصبحت بريمادونة فرقة

الريحانى وبطلتها الأولى، وشاركت فى تقديم العديد من الأعمال المسرحية!

كل الدلائل الظاهرية، كانت تشى بأن الريحانى .. سيسعد فى حبه مع بديعة. فهى تغرم به، كما يغرم هو بها. كما أنها شديدة الإعجاب بفنه وتعده أستاذها. ولأنهما فنانان، فكل منهما يعرف كيف يفهم الآخر ويريح متاعبه. وكل هذا صحيح إلا أن هناك شيئاً واحداً، يمكن أن يفسد هذا كله. وهو حب بديعة للمال، وكل ما يتيحه المال الكثير من ترف. وعشق الترف كما هو معروف، من أخلاق الغانيات .. مثل ممثلتنا الراقصة. والريحانى يعرف هذه الخصلة فيها، ولكنه لم يكن يظن أنها تجتاح كل قيمة أخرى .. مهما كانت أهميتها، حتى لو كانت الحب.

ومع أن فناننا الكوميدى، كان فى بداية عشرينات هذا القرن .. يعد من الأغنياء. ويعيش عيشة طيبة راقية، لا يتذوقها فى ذلك الوقت .. إلا قلة من الممثلين أصحاب الفرق .. مثل جورج أبيض ويوسف وهبى. إلا أن ذلك لم يكن يهيئ لبديعة، المستوى المترف الذى تطمح. ولم تكن فى حاجة إلى البحث، عمن يهيئ لها ذلك. المعجبون كثيرون، والاختيار سهل وقد حدث.

ويعرف الريحانى بما وقع بعد قليل، ويصدم صدمة كبيرة. فقد كان يحب بديعة حباً كبيراً صادقاً. وقضى أياماً كثيرة تعسة .. يغرق نفسه فى الشراب والقمار. ثم يجاهد ما

استطاع، لإنقاذ نفسه من الدمار. ويعود شيئاً فشيئاً إلى حياته العادية، مرة أخرى.

وقد تناول الريحاني هذه المأساة، التي كادت أن تحطمه فى أول مسرحية .. شارك فى تأليفها مع بديع خيرى، بعد الحادث بعام. وهى أوبريت "البرنسيس"، التى ظهرت على المسرح فى فبراير ١٩٢٤. ويرى الدارسون أن الشخصيتين الرئيسيتين في المسرحية، وهما حسنين وعيوشة .. تعكسان الكثير من ملامح نجيب الريحاني وبديعة مصابنى! وما أراد الأول أن يقوله في خيانة المرأة، وتفضيلها الثراء على الحب. من خلال زوجين متحابين، وتغوى المرأة بمظاهر الترف التى تراها فى أحد البيوت الكبيرة. فتترك رجلها الذى يهواها، إلى غنى يمكنه أن يغرقها فى الأصفر الرنان!

وهذه لمسة من مسرحية "البرنسيس"، يدور فيها الحوار بين عيوشه وحسنين. بعد أن قرر الزوج متألماً، أن يعترف بالأمر الواقع، ويترك امرأته. وليتزوج أخرى أجنبية، كانت متعاطفة معه.

- قلبك مطاوعك؟ تفوتنى لمين؟
- للقطيفة والحرير.
- موش صعبان عليك حاجة أبداً؟ .. مين بكره يعمل لك الملوخية؟
- ضرتك.
- ودى تعرف تعمل ملوخية.

- أيوه .. تعمل ملوخية أمريكانى .. ملوخية بالمايونيز.

- بقى مبسوط ياحسنين.

- أيوه مبسوط، مبسوط قوى.

- كذاب. أمال بتعيط ليه؟

- باعيط م الانبساط. باعيط م الفرح .. فرحان مزأطط .. قلبى مليان فرح. باضحك آهو باضحك ..

- ما تعيطش يا حسنين .. سد يا حسنين .. سامحنى يا حسنين.

- أسامحك ليه .. انتى عملتى حاجة يا عيوشة؟

- أيوه غلطانة .. أنا مجنونة .. مذنبة سامحنى يا حسنين .. أنا جنيت عليك.

- أيوه صحيح .. جنيتى عليّه يا عيوشة .. كسرتى نفسى .. حطمتى آمالى .. خربتى بيتى .. عدمتينى سعادتى .. جرحتى إحساسى .. نسيتينى الضحك .. علمتينى البكا يا عيوشة .. من امبارح وأنا زى المجنون. ساعة اسكت وساعة أهلوس. ساعة أكفر وساعة أدعى .. صورتك قدام عينى، لا أنا عارف ألعنك والاّ أعذرك، ولاّ انتقم منك ولاّ أسامحك. الانتحار عندى بقى بسيط .. قتلتينى. تخونك لقمة الملوخية. (يبكى).

- طيب ما تعيطش .. أبوس أيدك. قوم اضربنى .. موتنى .. اقتلنى .. بس سامحنى .. حسنين .. رد عليّه .. أنا عيوشتك، أن حبيبتك، أنا مراتك.

- أبداً. مراتي ما كانتش خاينة. مراتي ما كانتش تبيع جوزها لا بأموال ولا بقصور، ولا بقطيفة، ولا بحرير .. مراتي قنوعة مخلصة .. كانت عفوفة .. كانت جميلة.

- طيب يا ربى! وأنا اتغيرت؟

- اتغيرتى .. عيوشة كانت العفة مرسومة على وشها .. وأنت مرسوم على وشك الخبث. عيوشة كانت تفيض من عينها الطهارة، وأنت تفيض من عنيكى الغش والخيانة .. اللى كان مسود عنيكى، ومورد خدودك، ورافع رقبتك ومحلى شكلك فى نظر جوزك .. تاج كان يزينك .. تاج اسمه العفة. من يوم ماشلتيه بأيديكى زال جمالك، وانحطت قيمتك .. وبقيتى جربة. كل من كان يبتعد عنك .. بعد ما كنت وردة كل من كان يتلهف عليكى.

جمال الست موش بالقطيفة والحرية، جمال الست عفتها وشرفها".

وبعد الإنكار الشديد، تعترف بديعة مصابنى بخطئها. وتعتذر .. متوسلة إلى نجيب، أن يغفر لها خيانتها. ولا تلبث القبلات والتوسلات والدموع، أن تلين الريحانى. الذى أدرك فى هذه الآونة شيئين خطيرين حقاً. أنه يعشق بديعة، ولا يستطيع أن يستغنى عنها. والثانى، أن بنت مصابنى لا يمكن أن تتغير. ولا يمكن شفاءها من هوسها بالمال الكثير والترف. ومن ثم منعها من التطلع، إلى غيره من الرجال. الذين يمكنهم أن يلبوا دائماً حاجاتها الشديدة المستمرة .. إلى المال الكثير والترف! وهكذا عاد نجيب الريحانى إلى بديعة، مدركاً أنه وقع بين شقى الرحى!

واختلاف حياة أهل الفن اختلافاً قليلاً أو كثيراً، عن الحياة التي يعيشها غيرهم من الناس. وذلك بسبب القيم المتحررة التي يؤمنون بها، أو تقليدهم لأنماط السلوك الغربي، أو لخفة في الدين والمبادئ، أو لمجرد كونهم ينتمون إلى عالم الفن! إنما يجعل الجنس يتقدم على الحب، ويأتي الزواج في الدرجة الأخيرة! وهكذا كان الحال، بين نجيب الريحاني وبديعة مصابني!

فالعلاقة قائمة بين الاثنين، بينما كان كل منهما على صلة بطرف ثالث .. يعيش معه في مسكن واحد! ولكن الريحاني يثور في النهاية على هذا الوضع. ويقرر أن يضع حداً لتهتكهما و"صرمحتهما" معاً، وقرر أن يتزوج بديعة. التي تفاجأ بالنبأ! فمع أنها كانت تحب الريحاني بأسلوبها الخاص .. إلا أنها لم تسر بالفكرة!

تقول الدكتورة ليلى أبو سيف: "وكانت عندما أبدى رغبته في إتمام الزواج منها تقيم مع صديقها الثرى في مسكنه. فتوجه إليها، وطلب منها أن تنصرف معه ليتزوجها، ووافقت بديعة -كما تروى في مذكراتها- كانت تعد هذه الزيجة تنطوى على تضحية من جانبها، لأنها سوف تحرمها من الحياة الرغدة التي كان يوفرها لها صديقها، من أجل حياة بوهيمية غير مستقرة تعيشها كزوجة للريحاني. وفي ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ تم زواجهما".

يذهب البعض إلى أن اقتران الموظف بزميلة، أو الفنان بفنانة .. هو نصف النجاح. لأن العمل المشترك، يساعد كل منهما

على الوصول إلى أعماق الآخر بأيسر سبيل. ويستشهد بالتجارب الناجحة في هذا المجال. ولكن زواج نجيب الريحاني ببديعة مصابني، حمل جرثومة فشله .. قبل أن يبدأ! فقد عرف كل منهما الآخر، حق المعرفة قبل عقد القران. من خلال علاقتهما الطويلة .. واكتشف أغواره وسطوحه. و لم يكن هناك الجديد الذى يمكن أن يفاجئ. وفى الوقت ذاته، لم يتخيل أى منهما أن يغير نفسه .. وإن فكر فى أن يغير الآخر! وعمد كل من الزوجين الفنانين فى البداية، إلى تجاهل الحقيقة. وعدم مناقشتها مع نفسه، والانسياق فى تيار الحياة. ظناً أن الأيام يمكن أن تصلح ما أفسداه. ولكنهما كانا واهمين!

لقد سافرا سوياً إلى البرازيل، فى رحلة فنية. وفى طريق العودة زارا باريس فى نصف شهر العسل. وعملا معاً فى القاهرة .. ولكن هذا كله وغيره، لم يقرب كل منهما إلى الآخر .. أكثر مما حدث من قبل! وكان من الطبيعى أن تكبر الخلافات وتتجاوز الحدود الداخلية .. إلى خارج البيت. ويتوسط أولاد الحلال بلا فائدة. ويكون الاعتراف بالواقع هو العلاج .. وينفصلان!

ولكن هل خرجت بديعة مصابنى تماماً من حياة الريحانى ونفسه؟ أبداً! فقد كان الفنان الكبير منذ أن عرفها .. فى حالة عشق دائم لها! و لم تستطع أخطاؤها وخلافاتهما وانفصالهما، واتهاماتها له فى الصحف وقضاياها ضده فى المحاكم .. أن تجتث حبها من قلبه! فقد كان كالقدر أو اللعنة، التى لا يملك منها فكاكاً. مهما حاول التخلص منه

ومن آثاره. ولذا كان حبه لبديعة .. جرحاً لا يندمل إلى آخر أيام حياته. زاده إيلاماً، أن مذهبهما المسيحى الكاثوليكى .. لا يبيح الطلاق. فظلا منفصلين إلى النهاية، وبين جوانحه عواطف تتلظى .. مهما مرت الأيام وتتابعت الليالى.

ومن المؤلم أن مأساة الريحانى، وجدت من تكوين صاحبها .. ما جعلها تتغلغل إلى أعمق أغواره الدفينة. فإذا كانت الروح العربية أو المصرية، تعكس قبل المرح .. الحزن الدفين .. تراث عصور الظلم والاضطهاد والفقر والقيود. فإن الضحكة على شفتى الريحانى، ينافسها الدمعة فى عينيه.

يطلعنا صالح جودت فى كتابه "ملوك وصعاليك"، وهو يتحدث عن "أديب المسرح والستار بديع خيرى" .. عن هذا الجانب الهام فى تكوين الكوميدى العظيم، بقوله: "كان الريحانى يضحك الدنيا، ولكن نفسه كانت مطبوعة على الحزن. وكثيراً ما كان يقف على المسرح، فى بعض أدواره الفكهة، فيدير ظهره للجمهور، ليخفى تلك الدموع التى تنحدر من مآقيه! أجل .. كان الريحانى حزين الروح، ويقول بديع إن صاحبه كان يدفعه دفعاً إلى خلق بعض المواقف الحزينة وسط الكوميديا، حتى يرضى نفسه ببعض الدموع. وكانت سحابة الكآبة لا تفارق أعماقه ولا قسماته فى أسعد أوقات حياته"!

وظل نجيب الريحانى يحب بديعة مصابنى إلى أن مات!

للمؤلف

	سنة
مواقف واتجاهات	
المجلس الأعلى للفنون والآداب ط ١	١٩٦٩
دار سنابل ط٢	١٩٩٤
مسرح محمد تيمور	
المكتبة الثقافية الهيئة العامة للكتاب ط ١	١٩٧٥
دار سنابل ط٢	١٩٩٤
مسرحيات فى الوهج والظل	
كتاب الهلال - دار الهلال ط ١	١٩٧٦
دار سنابل ط٢	١٩٩٤
فى القصة القصيرة	
المجلس الأعلى للفنون والآداب	١٩٧٦
وجوه قصصية قديمة وجديدة	
اقرأ دار المعارف	١٩٧٨
يوسف السباعى بين الأيام والليالى	
الكتاب الذهبى روز اليوسف	١٩٧٩
عالم يوسف السباعى	
المجلس الأعلى للفنون والآداب ط ١	١٩٧٩
دار سنابل ط٢	١٩٩٤

محمد السباعي

كتاب المواهب ط١

المركز القومي للفنون والآداب ١٩٨٢

أجيال ضد الماركسية

دار الأصالة للثقافة والنشر بالرياض ١٩٨٤

عاشق الحرية ولى الدين يكن

أعلام العرب - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧

دراسات نقدية

المكتبة الثقافية - الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠

قلوب عاشقة دار سنابل ١٩٩٣

مجالات إسلامية دار سنابل ١٩٩٤

فنان زمان دار سنابل ١٩٩٥

الفنان والحب دار سنابل ١٩٩٥

إسماعيل مظهر رجل الفكر وعاشق الحرية

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٥

زكي مبارك عملاق الأدب

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٥

أنيس منصور بين بلاد الله وخلق الله

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٥

محمد طلعت حرب والعبقرية المصرية

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٥

أحمد حسن الزيات والقرية

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٥

فرح انطون والمسرح

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٦

شعراء اليقظة الإسلامية فى بداية القرن العشرين

دار سنابل ١٩٩٦

عواطف مضطربة دار سنابل ١٩٩٦

مع الأدباء العرب دار سنابل ١٩٩٦

أحمد أمين والروح الإسلامية

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٦

دفاعاً عن الحق دار سنابل ١٩٩٦

م.ع. الهمشرى شاعر الريف

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٦

ولى الدين يكن وحياة عاصفة دار سنابل ١٩٩٦

الشعر والشعراء دار سنابل ١٩٩٦

بواكير دار سنابل ١٩٩٧

نساء ورجال دار سنابل ١٩٩٧

محمود مختار وضمير الأمة

(شخصيات لامعة) دار سنابل ١٩٩٧

مجموعات دار سنابل ١٩٩٧

روايات مشهورة	دار سنابل	١٩٩٧
ألوان من الشخصيات	دار سنابل	١٩٩٧
رواد ورائدات	دار سنابل	١٩٩٧
رؤية	دار سنابل	١٩٩٧
خمسون كتاباً	دار سنابل	١٩٩٧
أجيال روائية	دار سنابل	١٩٩٧

رقــم الإيــداع ٥٧٥٤ / ٩٨
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-5657-46-6

دار سنابل للنشر والتوزيع

المنصورة ١١٢ شارع السكة القديمة

هذا الكتاب

شخصيتان هامتان ولهما بصمات واضحة فى حياة الوطن .. أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى الأسبق ونجيب الريحانى الفنان العظيم .

الاول ظل يحير الناس فى حياته وبعد موته فهو ابن البلد المثقف ثقافة عالية خريج اكسفورد ، بطل لعبة السيف ومن رواد الطيران المصرى ومستكشف الصحراء عاشق الفن ونجم المجتمع الذى استطاع وهو ابن شيخ ازهرى بسيط ان يصاهر الأسرة الملكية مرتين الأولى بزواجه من ابنة الأميرة شويكار والثانية بزواجه من ملكة أرملة ملك وأم ملك وهى نازلى . لقد أراد احمد حسنين باشا بزواجه أن يعيد عهود الرجال الدهاة العظام الذى يحكمون من وراء ستار .

اما الممثل العظيم نجيب الريحانى .. فلم يكن عظيما فى حبه وزواجه من الراقصة المشهورة بديعة مصابنى ، والتى عانى منها الاهوال .. لم يعشها فحسب فى حياته الشخصية بل صورها أيضا فى مسرحياته التى كتبها بالاشتراك مع بديع خيرى.

دار سنابل للنشر والتوزيع

المنصورة ١١٢ شارع السكة القديمة


62
gh
Bibliotheca Alexandrina
0695080